تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

— ١ —

— مذاهب النقد الادبي — للدكتورة سهير القلماوي — دكتور رشاد رشدي — دكتور محمد مندور (ولفيف من اساتذة الجامعات) سلسلة كتب ثقافية — القاهرة ، د.ت . ٥٥ ص.ص .

١ — في مقال للدكتور رشدي ص ١٣ : « فكلما ازداد ابداع الكاتب كلما ازدادت قدرته على ان يفصل عقله الخالق عن تجاربه الشخصية .. »

صار معلوما ان « كلما » الثانية زائدة وليست من اساليب العربية ..

٢ — في مقال للدكتورة القلماوي ص ٢٥ : « وكان ذلك كله في العشر سنوات الاخيرة .. »

الصحيح : في عشر السنوات .

ص ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ يرد « مالارمين » على هذه الصورة ، وهي خطأ ، لانه Mallarmé

٣ — في مقال الدكتور محمد الغنيمي هلال عن الرومانتيكية ص ١٦ — ١٧ : « وكانت السيدة « نكر »تحب ان يطلق على الادب الرومانتيكي « الادب الاجتماعي » .

لم نذكر نكر ، وهي مشهورة جدا في عالم الادب عموما وفي صلتها بنشاة الرومانتيكية خصوصا باسم « مدام دي ستال » كما سيذكرها الكاتب نفسه ص ١٨ ، وهو اذ يتحدث عن امراة واحدة اجنبية باسمين مختلفين شكلا يلتبس الامر كثيرا على القارىء العربي فيحسب السيدة « نكر » امراة ويحسب « مدام دي ستال » التي تأثرت ... بالالمان » امرأة اخرى — وليس الامر كذلك .

هذا الى ان تسميتها بالسيدة نكر غير صحيح ، انها السيدة دستال وليست السيدة « نكر » لان الفرنسيين لا ينسبون — كما هو معروف — النساء المتزوجات الى آبائهن و « نكر » — كما هو معروف ايضا — ابوها .

وقال ص ١٧ « الكلمة الفرنسية » Romanticisme

الصحيح انها Romantisme

٤ — في مقالة الدكتور رشدي ص ٦ : « ... فالنقد في نظر اصحاب المدرسة العاطفية عمل ابتكاري كالخلق تماما لا يستطيع الناقد ان يصول ويجول كيفما يشاء وان يطلق لخياله العنان حتى ليبتعد مسافات شاسعة عن الادب نفسه — كما يعطي لنفسه الحق في ان يصبغ احكامه باللون الذي يلائمه . »

أ — المناسب ان تكون « لا » التي سبقت «يستطيع» زائدة .

ب — كأنه يقصد « بالمدرسة العاطفية » المدرسة الانطباعية (التأثيرية) .

٥ — في مقال الدكتور رشدي ص ٦ — ٧ « في اواسط القرن (التاسع عشر) تقريبا نشأت فكرة ان الادب تعبير عن البيئة او المجتمع .. »

لو قال : شاعت او وضعت موضع التنفيذ «العلمي» كان ادق ، والا فان الفكرة نشأت قبل ذلك ، ولو قلت اوائل القرن لم تبعد عن الصواب ، ومعلوم امر اقامة مدام دستال في المانيا وتأثرها بهذه الفكرة هناك وعودتها الى فرنسا ونشرها هذه الفكرة وتأليفها فيها .

٦ — اقام الدكتور رشاد رشدي مقاله « مدارس النقد الادبي » ص ٣ — ٩ على الحركة الرومانتيكية فقال : « لقد خلف لنا القرن الماضي مدارس عديدة للنقد ... والمصدر الذي نشأت منه هذه المدارس هو الحركة الرومانتيكية ... »

واخاله مبالغا في ذلك ، وانه اضطر بفعل التعميم الى ايجاد « ما يمكن ان نسميه بالرومانسية العلمية في الادب » و « المفهوم العلمي الرومانسي للادب » . واذا كان صميم الرومانسية لديه « فكرة ان الادب تعبير عن الفرد» ونشأت عن ذلك مدرستان نقديتان هما المدرسة السيكولوجية والمدرسة العاطفية — والامر مقبول لدى ربطهما بصميم الرومانتيكية ، ولكنه سيضطر الى التكلف حين يقف ازاء ما كان « في القرن الماضي » من « مدارس النقد الاجتماعية والتاريخية والمادية الجدلية » وسيجعل ربط هذه المدارس بالرومنتيكية بتخلص ضعيف وسيقول: « ولقد ظلت فكرة ان الادب تعبير عن شيء او اخر سائدة طوال القرن الماضي الا انها اخذت اشكالا مختلفة وتحددت تبعا لهذه الاشكال مدارس النقد الادبي ومناهجه — ففي اواسط القرن تقريبا نشأت فكرة ان الادب تعبير عن البيئة او المجتمع ومن هذا قامت مدارس النقد الاجتماعية والتاريخية والمادية الجدلية ..

واصحاب هذه المدارس من النقاد يفسرون العمل الادبي في ضوء الظروف الطبيعية او الاجتماعية او التاريخية او الاقتصادية التي تنشأ فيها لانه في نظرهم ليس الا انتاجا لهذه الظروف .. الخ »

والتكلف في ربط هذه « المدارس » بالحركة الرومانتيكية واضح ، وكان الرابط لديه فكرة ان الادب تعبير عن شيء ، وليس هذا رابطا علميا لان التعبير عن الذات غير التعبير بفعل الطبيعة او المجتمع او العامل الاقتصادي ..

ثم ان اصحاب هذه المدارس نفسها لم يربطوا انفسهم بالحركة الرومانتيكية ولم يريدوا لانفسهم ان يربطوا بها ، بل انهم كثيرا ما كانوا ردود فعل لايفالها بالذات ، فسخروا منها وقاوموها ولا ادري كيف يسوغ لنا ان

نسمي « المادية الجدلية » مثلا رومانتيكية ، حتى لو لصقنا بالرومانتيكية ، صفة العلمية ..

نعم ، هناك بين هذه المدارس والمدرستين اللتين نشأتا عن الحركة الرومانتيكية (اي السيكولوجية والعاطفية) رابطة هي اهتمام الناقد باشياء خارج العمل الادبي ، قد نبالغ فنقول انها لا تمت الى العمل الادبي بشيء وانها « تعطل فهمنا للعمل الادبي وتشغلنا عنه » ومن ثم فهي نقيض ما دعا اليه (ص ٩) بند توكروتشي و ت.اس . ايلوت ..

هذه صفة جامعة ... ولكنها لا تجعلها مدارس للمفهوم الرومانسي فالتعبير عن الذات شيء والتعبير بالعامل الاقتصادي شيء اخر ... والربط متكلف ،ويبدو التكلف على اشده في صفحة تالية (ص ١٢) فقد اتضح فيها ان هناك امرين : « الرومانتيكية » و « الوعي العلمي الجديد » .

كان مناسبا ان يذكر لنا الدكتور رشدي مصدره لدى ذكر مصطلح غريب علينا كالرومانتيكية العلمية.

٧ ــ ص ١٤ : « في كلا الحالتين » : في كلتا الحالتين .

٨ ــ ص ١٤ : « وقد نشأ عن الرومانسية العلمية تقسيم العمل الادبي تقسيما غير طبيعي اي شكل وموضوع .. ولكن الكلاسيكية الجديدة تنكر وجود الموضوع ... كما ... تنكر وجود الاسلوب .. فكل ما في العمل الادبي من الفاظ وصور ورموز ومدلولات وجرس وموسيقى وغير ذلك من عناصر ليست لها وظائف مستقلة بعضها عن البعض وهي ليست ايضا غايات تطلب لذاتها ... لانها تتعاون جميعا في خلق الاثر او المعنى الكلي لهذه الوحدة المتكاملة الفريدة في نوعها وهي ما نسميها بالعمل الادبي » .

أ ــ بعد ان قال الدكتور رشدي في بداية الفقرة : شكل ومضمون ، حسن ــ بل وجب ــ ان يحتفظ بالمصطلحين لدى نفي الكلاسيكية الجديدة لوجود هذين المصطلحين . ولكنه لم يفعل ذلك فقد احتفظ بالموضوع ولكنه استعمل « الاسلوب » بدل الشكل . ويؤدي هذا الى لبس ، لان الاسلوب في المفهوم الحديث لم يعد الشكل ، ولم يعد « الالفاظ والصور والرموز ... والموسيقى » بل انه لم يعد هذه الاشياء « مستقلة عن بعضها ... » ان الاسلوب ــ بالمعنى الحديث الذي آل اليه اقرب مرادف لما ذهبت اليه الكلاسيكية الجديدة من تعاون الموضوع وعناصر الشكل « في خلق الاثر او المعنى الكلي لهذه الوحدة المتكاملة الفريدة في نوعها وهي ما نسميها بالعمل الادبي » .

الخلاصة ان « الاسلوب » لم يعد ، في النقد الادبي المعاصر ــ مرادفا « صافيا » للشكل ، واننا اذا قلنا في بداية كلام : « شكل وموضوع » ، علينا ان نستمر في القول لدى تكراره ولا نحل كلمة « اسلوب » محل «شكل» دفعا للبس ووعيا لتطور المصطلحات .

٧ ــ تقول الدكتورة سهير القلماوي ص ٢٦ :

« ... ومذهب البرنا سيين كان رد فعل لتقدم العلوم وخاصة العلوم المتعلقة بالطب البشري ... »

المعلوم ان مذهب البرناسيين ، كان في اسباب قيامه تقدم العلوم ، ولم يكن رد فعل لهذا التقدم ، وعلى هذا تكون العبارة هكذا : « ... ومذهب البرناسيين كان بفعل تقدم العلوم ... » اذا كان لا بد من الاحتفاظ بكلمة « فعل » ، لان « رد فعل » تعني ــ كما هو معروف ــ الضد ، اي ان مذهب البرناسيين نشأ مضادا لتقدم العلوم، ولم يكن الامر كذلك ويتفق المذهب ــ مذهب البرناسيين ــ والعلوم بالموضوعية ..

الملاحظة هنا على استعمال « رد فعل » .

ولو قلنا ان « مذهب البرناسيين » رد فعل للرومانتيكية كان القول صوابا ، ولو قلنا ان « الرمزية » رد فعل للعلوم لكان القول صوابا كذلك ..

هذا ويحسن ــ ويجب ــ ان ترد « البرنا سيين »على البارناسيين لانها نسبة الى Parnasse

٨ ــ يقول الدكتور محمد مندور ص ٣٤ ــ ٣٥ :

« اما الواقعية الغربية فقد ظهرت منذ اوائل القرن الماضي وسارت جنبا الى جنب مع المذهب الرومنتيكي ، فبينما كان ادباء الرومنتيكية في فرنسا خلال ذلك القرن يخرجون الدواوين والقصص والمسرحيات ... على نحو ما نشاهد عند هيجو وموسيه ولامرتين في فرنسا مثلا ــ نرى الواقعيين من امثال بلزاك وموبسان ثم زولا ينقبون عن مواقع الحياة في نفوس البشر كافة وينظرون الى هذا الواقع نظرة يزعمون انها تكشف عن حقيقته ، فعندهم ان الانسان شرير بطبعه ... »

ا ــ ليس صحيحا ان الواقعية الغربية ظهرت منذ اوائل القرن الماضي وسارت جنبا الى جنب مع المذهب الرومنتيكي ، فاذا كانت الرومنتيكية قد بدت مقدماتها منذ اواخر القرن الثامن عشر ، وقويت في اوائل التاسع عشر وتقررت مدرسة سنة ١٨٢٠ بصدور ديوان لامرتين (المولود سنة ١٧٩٠) ، فان « الواقعية » لم تكن ــ ونحن نتحدث عن المدرسة او المذهب ــ قد وجدت ، لانها ولدت في اواسط القرن التاسععشر ، ولم يكن بلزاك (المولود سنة ١٧٩٩) ممثلها او احد اعمدتها لدى « تأسيسها » . يدرس بلزاك ــ ويدرج ــ في باب الرومانتيكية وقد احترمه الواقعيون كثيرا واعلى مشرعهم شانفليري مكانه ولكن هذا شيء وعده من المدرسة الواقعية شيء اخر .

ب ــ ولد زولا سنة ١٨٤٠ ، وموبسان سنة ١٨٥٠ فاين هما في اوائل القرن التاسع عشر .

ــ ٢ ــ

ــ موسيقى الشعر ــ تأليف الدكتور ابراهيم انيس ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢

(كانت الطبعة الاولى حوالي سنة ١٩٥٠ ؟)

١ – ص ٨ : « ان هذا القدر فطري غرزي ولد معنا » ، ص ١١ « ان هناك ميلا غرزيا .. »

٢ – ص ٢٢ : « عني القدماء ... فيما يمكن ان يتكون من كلمات لو استعملت حروف الهجاء الثمانية والعشرين كلها بنسبة واحدة » .

الصحيح : الثمانية والعشرون .

٣ – ص ١٩٤ – بعد قوله ص ١٩٣ – ١٩٤ « ووقع الاختيار ... على ديوان زهير ... اما الفرزدق ففي ديوانه . » « بل حتى ابي العتاهية ... لم ينظم الا من بحور نظم منها من سبقوه من الشعراء » .

الصحيح : حتى ابو العتاهية .

قد يكون الصحيح في « نظم منها » : نظم عليها او نظم فيها ، فالشاعر ينظم على البحر ، والشعر يكون من البحر .

افضل من : « من سبقوه » : من سبقه .

٤ – ص٢٢٠ : « اما نشأة الموشحات ، فقداضطربت فيها الروايات بعض الاضطراب ... على ان من مؤرخي الادب من يزعمون ان اول من نظم الموشحات هو ابن المعتز الذي توفي اواخر القرن الثالث الهجري ، ويروون له موشحا مطلعه :

أيها الساقي اليك المشتكى   قد دعوناك وان لم تسمع

لم يذكر لنا الدكتور انيس مرجعه ولم يسم لنا مؤرخي الادب هؤلاء ... وان كنا نعرف منهم احمد حسن الزيات في كتابه « تاريخ الادب العربي » الذي طبع مرارا ... وكنا نظن ان هذه مسالة انتهت لا يرجع اليها راجع ، فقد بت فيها وثبت بطلانها بما لا يقبل شكا ولا يسمح لباحث ان يعود اليها او ان يجهل ما وصل العلم بشأنها .

ان الموشحة المذكورة : « ايها الساقي » من نظم الاندلسي ابن زهر .

وعاد الدكتور انيس الى هذه الموشحة ص ٣٠٩ على وجه حسبنا معه انه تنبه الى الشك في النسبة الى ابن المعتز حين قال : « الموشح الذي ينسب الى ابن المعتز .. » ولكنه يبعد هذا الحسبان ص ٣٤٣ بقوله « ... يكون ما يؤكده بعض الدارسين من ان الموشحات بدات ايضا بالمشرق على يدي ابن المعتز غير بعيد الاحتمال » .

كانت « هفوة » نسبت « ايها الساقي » الى ابن المعتز ثم فرغ الدارسون بعد ذلك من انها ليست له ، وانما هي لمحمد عبد الملك بن زهر .

٥ – ص ٣٠١ : « المزدوج .. ولابي العتاهيةمزدوجة ... وقد نظم منه ابان بن عبد الحميد اللاحقي كتاب كليلة ودمنة ، كما نظم الحريري ملحمته في قواعد الاعراب .. »

لا تطلق لفظة « ملحمة » على مزدوجة تنظم « قواعد الاعراب » ... فهي مصطلح له حدوده واركانه عند اهله ، ونحسب ان الدكتور انيس لا يسمح بهذا الاطلاق ان مزدوجة الحريري : منظومة ، وهي من الشعر التعليمي كما هو شأنها في مصطلح الشعر التعليمي .

٦ – يتحدث الدكتور انيس عن شعر المحدثين بصدد البحر والقافية ، فيما يكثر ويقل منها فيقول مثلا ص ٣١٠ « والذي يلاحظ بوجه عام ان شعراءنا المحدثين ، لم يحاولوا التنويع في القافية الا في النادر من الاحيان .. »

ولكن الشعراء المحدثين هؤلاء وحيث ورد الكلام عليهم لا يعنون لديه الا شعراء مصر : شوقي ، حافظ ، البارودي ، الجارم ، العقاد ، عزيز اباظه ، رامي ، علي محمود طه ، علي الجندي ، محمود غنيم ، محمود اسماعيل .

ليكن – اذا – القارىء على علم ، وله بعد ذلك ان يسائل : اما كان بامكان الاستاذ المؤلف – وقد طبع كتابه اربع طبعات – ان يخرج قليلا من حدود « الكنانة » فيختار شعراء اخرين من اقطار العربية ... ليكون الحكم اصدق وادق وانفع ، ولعله يجد فرقا يمكن ان ينتفع به مؤلف يؤلف في « موسيقى الشعر » فيجد للبحر او القافية شأنا يختلف – او يتفق – مع شأنهما في مصر – الخ .

انه لم يخرج عن الدائرة الضيقة الا في حالة واحدة ، هي حالة شعراء المهجر هيأها له كتاب « بلاغة العرب في القرن العشرين » المطبوع في مصر . اما كان ممكنا ان ينظر في عدد من دواوين هؤلاء الشعراء ليكون الحكم اول والامثلة متنوعة ...؟

٧ – ص – ٣٠٣ – ٣٠٥ « المربع هو ذلك الشعر الذي يقسم فيه الشاعر قصيدته الى اقسام يتضمن كل قسم منها اربعة اشطر ، ويراعي الشاعر في هذه الاشطر الاربعة نظاما للقافية ... والذي شاع ... ان قافية الشطر الرابع تتكرر هي بعينها مع كل قسم من اقسام المربعات ، مثل قول شوقي تحت عنوان « البسفور كأنك تراه » :

على اي الجنان بنا تمر   وفي اي الحدائق تستقر
رويدا ايها الفلك الابر   بلغت بنا الربوع فانت حر
سهرت ولم تنم للركب عين   كأن لم يغشوهم ضجر واين
يحث خطاك لج بل لجين   بل الابريز بل افق اغر

فنحن نرى في مثل هذا النظم ان قافية الشطر الرابع تتكرر حتى نهاية القصيدة ، فليست الاقسام هنا مستقلة تمام الاستقلال ، ولكنها تشترك في امر واحد هو تكرر قافية الشطر الرابع .

وقد اغرم العباسيون بهذا النوع من المربعات واكثروا من نظمه ، وهو بحق يعد الحجر الاول في بناء الموشحات التي ازدهرت فيما بعد » .

١ – قولنا : « وقد أغرم العباسيون .. واكثروا .. » يدل – فعلا – على غزارة ما نظم من هذا « القصيد المربع » ... فاين هي الغزارة منه في مجموع شعر العباسيين ؟بل في جزء منه ؟ اين امثلته ؟

اشك في صحة القول وفي امكان الاجابة عن الاسئلة

واذا وجد فلم لم يذكر لنا المؤلف الفاضل مثلا واحدا او ان يشير الى مكانه من الدواوين والمصادر .

ب ــ قولنا : « وهو بحق يعد الحجر الاول في بنـاء الموشحات ... » يستدعي امريــن : الاول وجـوده (وغزارته) ، الثاني ان يكون الوجود (والغزارة) قبـل القرن الثالث للهجرة او في نصفه الاول ، لان المؤلف اشار ــ فـي وضوح ــ (ص ٢٢٠ ــ ٢٢١) الى نشاة الموشح في هذا القرن ــ والامران متلازمان ، ويبقى الشك ــ الذي يشبه اليقين ــ قائما .

٨ ــ ص ٣١٩ « قال ثعلبة بن عمرو :

اسماء لـم تسئلي عن ابيك   والقوم قد كان فيهم خطوب ..

أ ــ الانسب ــ ان لم يكن الاصح ــ في كتابة«تسئلي» تسألي . واذا كان المؤلف قد تابع المفضليات ــ بتحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ــ فـي المفضلية ٦١ ، فقد وضع المحققان هناك فتحة على الهمزة تحذيرا من كسرها .

ب ــ فتح المؤلف ــ او الطابع ــ الياء من « ابيك » وهو غير صحيح ،وانما الصحيح السكون .

٩ ــ « موسيقى الشعر » : كتاب في « العـروض والقافية » يمكن ان نضيف الى مراجع البحث كتـاب الدكتور محمد مهدي البصير « الموشح في الاندلس وفي المشرق » بغداد ، ١٩٤٨ ــ لانه رائد فـي بابه اي فـي دراسة الموشح في المشرق والنظر فيما نظم المحدثون ...

ووقف المؤلف (ص ٣٥٦) لدى (١٥) كتابا مـن « كتب العروض » وكانه يريد الاستقصاء ، واذا كان قـد ذكر كتبا حديثة مثل كتاب محمود مصطفى فلم حجب كتاب الهاشمي (ميزان الذهب) ؟

وهناك كتب اخرى في اقطار اخرى .. اذكر منها في العراق كتاب الرصافي « الادب الرفيع » .

ثم هناك كتب قديمة حققت ونشرت بعـد طبعته ــ او طبعاته ــ الاولى ، منها : « كتاب القوافي تأليف ابي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش المتوفي سنة ٢١٥ عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٧٠ ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي » .

و « كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة لابي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ، الدار التونسية للنشر ١٩٧١ .

وتنظر مجلة معهد المخطوطات ..

ويذكر الدكتور عزة حسن في مصادره : كتـاب القوافي للقاضي ابي يعلى عبد الباقي التنوخي ط.(على آلة التكثير) سنة ١٩٦٥ ، وكتاب « الكافي في علـم القوافي » لابي بكر محمد الشنتريني ــ مع كتاب المعيار في اوزان الاشعار ، ١٩٦٨ .

ونذكر للطبعة القابلة « كتاب العروض تأليف ابـي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ، بيروت ١٩٧٢ .

ــ النموذج في البحث الادبي تأليف عمر انيس الطباع،الكتاب الاول ، بيروت (؟) ، دار النشر للجامعيين ١٩٥٨ .

١ ــ ص ١٤٥ : « لئن كان الشعر العربي ، على وجه العموم ، شعرا رومنطيقيا ، اذا اعتبرنا الرومنطيقية نزعة وجدانية ينطوي فيها الشاعر على ذاته ، فان ابن الرومي بصورة خاصة ، اشد صلة بعالم الرومنطيقيين من شعراء فرنسا ــ ابتداء من « روسو » و « سانت بيـف » ، و « شاتوبريان » الى « لامرتين » و « فيكتور هيجو » ــ لما يتمثل في نفسيته وشعره من خصائص اعلام هذه المدرسة» وكلام اخر .

أ ــ لا ارانا مصيبين ، ونحن نقدم « النموذج فـي البحث » لطالبنا ، بزج الشاعر العربي في معمان مـدارس الادبي الغربي فضلا عن ان نجعل ابن الرومي اشـد صلة بلامرتين ... وربما افاد فعل التفضيل التفضيل .

ثم ان النزعة الوجدانية ليست كل شيء فــي الرومنطيقية ... واذا لم يكن في الشعر العربـي القديم رومنطيقية فقد كانت نزعة وجدانية ، فهو في عمومه شعر وجداني (غنائي) .

ب ــ اذا كنا نعلم جيدا تطور المدرسة الرومنطيقية في فرنسا قدمنا شاتوبريان على سنت بيف . ثم لـم هذا الاختيار الذي وقع على سنت بيف وهو اديب يقوم مجده على النقد الادبي ، وليس لشعره وقصته الاهمية التـي تحله حيث احله المؤلف ؟.

٢ ــ ص ٢٤٩ : « كان نظمه (اي نظم سليمـان البستاني) اعظم دافع للشعراء العرب المحدثين ، علـى التجديد في طرائق الشعر والجراة على تحدي الاساليب القديمة ، والبحور الكلاسيكية .. »

لم يقل هذا احد ، لانه ليس صحيحا ... لقد عمل سليمان البستاني بترجمته الالياذة ومقدمته الضافيـة لها شيئا جديرا بالاهتمام والذكر .. اما ان يكون « اعظم دافع ... » فلا .

الذي يؤلف في « النموذج في البحث » مطالب اكثر من غيره في التأني لدى الحكم ، والهدوء لدى الاعجاب .

ملاحظتان :

١ ــ ورد في « تحقيقات » فبراير ص ٧ :

تظنون هذا العصر عصر هداية   واجدر لو تدعوه عصر ضلالات

وصحيحه :

تظنون هذا العصر عصر هداية   واجدر ان تدعوه عصر ضلالات

٢ ــ ص ٨ « واشتهر بين النقاد والشعراء حماد وخلف ... »

وصحيحه : واشتهر بين النقاد الشعراء ..

بغداد ــ كلية الاداب   علي جواد الطاهر

الموت العاشق

صح عندي ان المنية تهوى ... مثل اهل الغرام كل جميل
قد تتبعت خطوها فتراءت ... صبوات الردى بكل سبيل
واشتهاء الردى مبيد يؤدي ... بالذي تامه لمرعى وبيل
قد شهدنا اهل الجمال لدينا ... اسرع الناس دائما للرحيل
واذا لم يكن هوى الموت فيهم ... فهو امر يحتاج للتعليل
اترك الناس واشهد الروض تبصر ... خير ازهاره وشيك الذبول
اترك الروض واشهد الافق تدرك ... ان ابهى النجوم رهن الافول
ينكر العقل ما اقول وعندي ... من مآسي الجمال الف دليل

كان لي غادة سلام عليها ... ما لها في شبابها من مثيل
كسيت رونق الطبيعة غضا ... فهي مرآة فنها المصقول
صورة الورد عندها اذ ارى الو ... رد يريق الشذا بخد اسيل
صورة الفل عندها اذ ارى الثغر ... نضيدا القاه بالتقبيل
صورة الليل عندها اذ يموج الليل ... سحرا في فرعها المسدول
ولدل الحديث منها غصون ... تتهادى مع النسيم البليل
اتشهاه في الهجير رخيا ... مستجيرا منه بظل ظليل
يبدع الطير شدوه فتراه ... في هتاف من لفظها المعسول
لخصت بهجة الطبيعة في المر ... اى وفاقت باي عقل اصيل
في التباس الظنون اذ يخطف ... الذهن بومض يفضي الى المجهول
في صمات الالفاظ حين تدوي ... السن الزائرات مثل الطبول
في احتمال الثرثار مهما تمادى ... دون ضيق بلغوه المملول
في تسامي الاخلاق اذ تلمس الذنب ... فتوليه كل صفح نبيل
في غنى النفس حين تحمد مولا ... ها على الستر والكفاف القليل
في ابتسام الذكاء اذ تلمح المغز ... ى دقيقا يغيب خلف السدول
ولصمت التفكير في مقلتيها ... خطفة الضوء في الحسام الصقيل
تشهد الموج بين اهدابها الو ... طف اذا حدقت لمعنى جليل
فاذا ادركته راحت تجليه ... بنبر شاد ، ولفظ قليل
اذكر الان كل لقط حكته ... غير اني اضيق بالتمثيل
ذكريات تفضي الى حسرات ... في فؤادي تنثال مثل النصول
ان تشاغلت بالدروس صباحا ... مستغيثا من هم ليل طويل
ابدأ الدرس ثم تعرض ذكرا ... ها فانهار تحت عبء ثقيل
هل سبيل الى السلو وطيف ... من سناها يبدو بكل سبيل
ظفر الموت بالمنى وغدونا ... من هوانا في مأتم وعويل
صدق القول (انما الموت نقا ... د) تعنيه صبوة المتبول

الرياض – كلية اللغة العربية ... محمد رجب البيومي



وديع فلسطين

حديث مستطرد عن زكي مبارك

بقلم وديع فلسطين

***

ولو كان زكي مبارك حيا ، لاحتج علي اشد احتجاج لانني جردت اسمه من القابه ، واختزلته من مقدماته وذيولـه ، فكيف اجرؤ على ان اسميه مجرد زكي مبـارك ، وهـو الاسم الذي اشتهر به ، بينما اسمه الكامل تحف به القابه الجسام هو : الدكاترة محمد زكي عبد السلام مبارك ،ملك الشعراء ، واكبر تلاميذ افلاطون و « ما أعرف رجلا اعظم منـي » !

ولو اختصرت حياته لقلت انه اكبر اديب مشـاكس عرفه العصر الحديث ، فلا اظن ان هناك اديبا عاش فـي معارك متصلة ، ومشاكسات غير منقطعة ، ومباكسـات لا تنتهي كزكي مبارك . (والمباكسات اوردها « المعجـم الوسيط » في طبعته الاولى ثم حذفها في طبعتهالثانية !)

كنت في العام الدراسي ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩ فـي اخر مراحل الدراسة الثانوية في القسم الحكومي من الجامعـة الامريكية بالقاهرة ، وكان استاذنا في اللغة العربيـة هو السيد شحاتة ، وهو رجل يختلف عن جميـع اسـاتـذة اللغة العربية الذين عرفتهم من قبل ، فيه قدر كبير مـن الوسامة والاناقة ، وله ذوق ادبي يحبب اليك الضاد ،وله حظ واسع من الثقافة يطرد السأم من « حصة » اللغـة العربية ويحرضنا تحريضا على الانتظام فيها وارهـاف السمع لكل ما يقوله السيد شحاته ، وكل ما يقوله ممتـع ملذ يسير الفهم ، هانت بفضله كل مصاعبه . وهذا الرجل العظيم ــ اطال الله عمره ــ هو اول من حببني في اللغـة العربية ، بينما كان اسلافه جميعا لا يتوخون الا تبغيضنا في اللغة العربية .

وكان من زملائي في الصف سليمان زكي مبارك ، وهو شاب فيه بساطة الريف وفيه انطواء على الذات .

واذ كنا نتهيأ ذات صباح لدخول حصة اللغة العربية، وبنا اليها شوق نماه وتعهده استاذنا السيد شحاتة ، رأينا الاستاذ يقبل علينا وفي صحبته ضيف غريب اجعد الشعر جفاه التشذيب والتهذيب ، على عينيه غلاظ من العوينات، وتهامسنا من يكون هذا الضيف ، فأسعفنا سليمـــان بالجواب : هذا ابي ، وهو مفتش اللغة العربية بـوزارة المعـارف .

وانتظمنا كل في مكانه ، واستولى علينا رعب قاتل ، فهذه هي المرة الاولى التي يجيئنا مفتش ــ او موجه بلغة هذه الايام ــ من طراز زكي مبارك . ولن يلبث حتـــى يورثنا التلعثم والعي بفضل علمه البحر وعلمنا القاصر . ولكن « رطب الجو » امران ، اولهما ان استاذنا السيـد شحاته احسن تقديم المفتش الى الطلاب ، مشيدا بمنزلته المرموقة في دنيا الادب ، مؤكدا ان زيارته لنا تشريف هو نفسه اول الناعمين به ، وقال اننا جميعا طلاب على زكي مبارك ، ثم دعاه الى ان يزيدنا من علمه ويحاضرنا في الادب الذي هو من اعلامه الكبار . فاخذ زكي مبارك يحدثنا في الادب حديثا مشتهى ، انساه انه مفتش وان واجبـه ان يمتحن عقولنا . واما الامر الثاني الذي هدأ من روعنا ، فهو وجود ابن زكي مبارك بيننا ، ولا اقل من ان يكـون الاب مترفقا بزملاء ابنه العزيز سليمان .

وقبل ان ينفض السامر ويغادرنا زكي مبارك ، رفـع ابنه اصبعه طالبا الكلام . فتوجهت كل الانظار الى سليمان ... ولما اذن له ابوه بالكلام ، تحدث لا بالعربية ، بـــل بالافرنسية قائلا Je parle francais comme lesfrancaises اي انني اجيد الفرنسية كالفرنسيات ! فضحك الدكتـور زكي مبارك ، ونبه ابنه الى ان اللغة الفرنسية فيها تأنيث وتذكير على غرار اللغةالعربية وعلى نقيض اللغة الانكليزية.

والمهم ان الهلع الذي استولى علينا من زيارة «جنرال الادب » زكي مبارك قد زايلنا ، وربما لان زكي مباركوجدنا ارق من ان يشن علينا حربا من حروب بسوسه !

وفي العام التالي انتقلت في نفس الجامعة الـــى دراساتها الجامعية ، وكان يدرسنا اللغة العربيـة رجل عظيم اخر هو السباعي بيومي ، وهو من اساتـذة الادب المتمكنين في كلية دار العلوم ، وكان ــ على طريقته القديمة في التدريس ــ محاضرا يتكلم ساعات طوالا دون ان يمـل ودون ان يلقي الملل في نفوس سامعيه . وقد سرني فـي ما بعد ان رايت صديقنا الراحل الدكتور محمد منـدور

يشيد في فصل نشره في احدى الصحف ـ ولعلها « الجمهورية » ـ بفضل السباعي بيومي عليه ، ويحصيه ضمن اساتذته الكبار من امثال لطفي السيد باشا وطه حسين . ولا ادري لم لا تقوم الاخت الشاعرة ملك عبد العزيز ، ارملة الدكتور مندور ، بجمع فصوله المنشورة في الصحف وهي آلاف ، ولاسيما لانها تسجل خواطر مندور ونظراته في الادب والحياة في نحو ربع قرن .

وفوجئنا نحن طلاب السباعي بيومي بمجلة «الرسالة» تنشر حملة شعواء على استاذنا من قلم الدكتور زكي مبارك . فرجونا استاذنا ان يرجيء الدرس الى يوم اخر ، وان يقرأ علينا كلام مبارك ورده عليه . واستمرت هذه الحملة اسابيع ، ونحن نتابعها بشغف شديد لان استاذنا طرف اصيل فيها نستوضحه جوانبها المختلفة فيفيض في الحديث باسلوب فيه احترام شديد للقيم الادبية . ولان زكي مبارك قد رايناه راي العين في العام الفائت فصار معروفا لدينا . وظللنا نتابع معارك زكي مبارك مع الشيخ محمد احمد الغمراوي الذي وصفه بقوله انه « شخص معتوه مخبول » ! ومعاركه مع احمد امين وطه حسين ...

وتقضت ايام الدراسة ، وخرجت الى الحياة تستهويني منها منتديات الادب . ولا اظن ان هناك منتدى ادبيا عرفته القاهرة في فترة الاربعينات واوائل الخمسينات الا غشيته واتصلت برواده . وما انقطعت عن غشيان تلك المنتديات الا بعد ان توبتني الدنيا بدروسها البليغات وانيابها السامة . كانت تلك الندوات خالصة للادب ، وكان المترددون عليها من المؤتمين بالادب ، اساتذة وشداة . فلما زايلها اهتمام الادب ، وانفض عنها اصلاء الادباء ، وانزرع في وسطها الساعون بالنميمة ، وتحولت مناقشاتها الى بيزنطيات فكرولوجية ديالكتيكية ، طلقت الندوات ، قانعا بقصادي ، وكانوا وما زالوا من اشرف وجوه الضاد في حياتنا .

وفي هذه المنتديات عرفت الدكتور زكي مبارك ، فبهرني علمه ، اما شخصيته فقد نفرتني منها اشد تنفير . لقد كان في تلك الفترة يعاني اضطهادا سلاحه الافظع محاربته في رزق اولاده ، وحرمانه من مكانه الطبيعي وهو التدريس بالجامعة ، والتضييق عليه في وظيفة التفتيش المتواضعة برزقها القليل واسفارها الكثيرة . فكان طبيعيا ان ينعكس هذا كله على حياته ، فلا يختار من مشارب القاهرة الا اوضعها ، ولا يلبس الا الزري من الثياب ، ولا يهتم بتهذيب شعره او حلق ذقنه . وكنت اراه في الامسيات جالسا بالساعات في تلك المشارب الرخيصة ولا هم له الا تأمل الناس والسابلة ، ومن حوله شبان من امثال « احمد رشدي » الذي خصه بديوانه الكامل وهو « الحان الخلود » متشببا به تشببا غريبا . وكنت اراه في الصباح المبكر جالسا في نفس الموضع ، فلا ادري امضى الليل كله هنا ، ام انه عاد الى داره مع الفجر ، ثم غادرها مبكرا الى مقعده الخالد . وكنت اقتصر على تحيته برفع اليد ، ثم اهرول في طريقي غير عابىء بدعوته الي بالانضمام الى مجالسيه من امثال احمد رشدي . ناهيك بان موضوعه الاثير الذي كان يخوض فيه هو الطعن في خصومه الالداء : النقراشي باشا ، والسنهوري باشا ، واسماعيل القباني ، وطه حسين ، واحمد امين ، وكان في طعنه جريئا حتى على الحق . فقد كان يقول عن طه حسين « انه لا يقرأ ولا يكتب » مشيرا بذلك الى ان سكرتيره يقرأ له ويكتب ما يمليه عليه . بل كان يقول عن طه حسين « لو جاع اطفالي لشويت طه حسين واطعمتهم من لحمه ، ان جاز ان اقدم الى اطفالي لحوم الكلاب » ـ وهذا الكلام منشور في ديوانه « الحان الخلود » . ولم يسلم من لسانه احمد حسن الزيات الذي فتح صدر « الرسالة » امامه ، ولا سلم منه لطفي السيد فقال عنه « ان المقادير اصارته رئيسا للمجمع » !

وكنت اعرف ظروف زكي مبارك وارثي له اشد الرثاء ، ولكنني كنت اراه بمسلكه مع نفسه ومعاملته لشخص زكي مبارك ، انما يقترف في حق ذاته انتحارا بطيئا . فهو لا يكاد يفيق ، وحياته تشرد متصل ، وحواريوه ليسوا اهلا لمجالسته . بل ان الفصول التي واصل كتابتها اسبوعيا في جريدة « البلاغ » بعنوان « الحديث ذو شجون » ، والفصول الاخرى التي كان ينشرها في مجلة « الصباح » ، كانت خليطا عجيبا من كلام العقلاء وهلوسات المجانين . صفحة كاملة من «البلاغ» كان يملأها كل اسبوع باي كلام يخطر بالبال ، وهي ثرثرة ادبية ممتعة بكل ما فيها من شذوذ العباقرة ، وفلتات الالسنة ، وتداعي الذهن والخاطر . وعلى هذه الشاكلة اصدر ديوانه « الحان الخلود » ، فجاء بدعا في الدواوين بمقدماته التي لا تنضبط في اي لون من الوان الادب ، وباستطراداته وشطحاته ونزواته ، ناهيك بما فيها من مظاهر « البرانويا » اي العظمة الذاتية ، وناهيك بما فيها من روايات عن فاتناته الفاتكات !

فلما نعت الصحف زكي مبارك في اوائل عام ١٩٥٢ (في الثالث والعشرين من يناير) حزنت على هذا الاديب الكبير الذي كان يرجى لامته ، ولكن حروب « الرزق » قتلته في ليلة فقد فيها توازنه وهو يغادر مشربه ، واذكان يحاذر مركبة قادمة هوى على ام راسه ، فاصيب بشج في الجمجمة وارتجاج في المخ ، فمات بمخه الذي عذبه طويلا وعذب كذلك جميع معاصريه .

واليوم يطالعنا حسين خريس بكتاب كبير ممتع اشد الامتاع نفيس اشد النفاسة هو كتاب « جناية احمد امين على الادب العربي » ، وفيه رصد للفصول التي نشرها زكي مبارك في مجلة « الرسالة » بهذا العنوان سنة ١٩٣٩ ، وقد اربت على عشرين فصلا ، وفي الكتاب كذلك مقدمة طويلة للباحث الناقد خريس فيها انصاف لزكي مبارك

من معاصريه ومن نفسه ايضا .

وكان احمد امين عميدا لكلية الاداب واستاذا للادب العربي فيها مع انه خريج معهد القضاء الشرعي ! اما زكي مبارك فكان يحمل ثلاث درجات دكتوراة في الادب العربي، ولما اتيحت له فرصة للتدريس في الجامعة بعقد قصير ، انهيت خدمته بلا سبب اكاديمي !

وكان احمد امين قد كتب في مجلة « الثقافة » التي اصدرها هو وجماعته بعد انشقاقه عن « رسالة » الزيات سلسلة من الفصول عنوانها « جناية الادب الجاهلي على الادب العربي » ، قال فيها ان الادب الجاهلي ادب معدة لا ادب روح ، وان الادب العربي كله لا يعرف كاتبا الا ابن خلدون ولا شاعرا الا ابن الرومي ، وان ادب الجاهليين كان ادبا تركيبيا لا ادبا تحليليا ، وان الجاهليين لم يعرفوا الوصف ولا احسنوا تصوير بيئاتهم .

والتقط زكي مبارك قفازه ، ونزل الى حلبة المصارعة بكل عدته وعتاده ، فها قد واتته الفرصة لاظهار « جهل » عميد كلية الآداب واستاذ الادب العربي فيهـا ! وما دام احمد امين قد اتهم الجاهليين بالجناية على الادب العربي ، فليحمل وزر هذه الجناية احمد امين نفسه .

ومضى زكي مبارك يشعل نار الحرب ، ويزيدها وقودا وضراما ، فلم يدع لاحمد امين جنبا يستريح عليه . وكان ـ على منهاجه المعهود ـ لا يتورع عن ركوب مراكب العنتريات ، ومن ذلك قوله « لو ان معدتي كانت كما احب من القوة والعافية ، لاكلت لحم الاستاذ احمد امين وارحت الدنيا من احكامه الجائرة في الادب والتاريخ . ولكن الدهر حكم بان اكون من اصحاب الارواح ، فلم يبق لي في محاسبته غير شيطنة الروح ، وفي الارواح شياطين !» .

كما قال في سياق فصوله « ليس المهم ان نهدم الاستاذ احمد امين ـ فتلك غاية صغيرة ـ ولكن المهم ان نكف شره عن الادب العربي ، وان نزجر من يتطلع الى مثل غرضه من عوام الباحثين » !

وقد نشر الدكتور زكي مبارك هذه الفصول في اشهر الصيف من رمضان ، وترامى اليه ان احمد امين ترك القاهرة ليصطاف في الاسكندرية عند صخرة «المكس»، فكتب يقول : « ان الذي عجز عن وصف الطبيعة هو الذي يصطاف بالاسكندرية كل سنة ولم يفتح الله عليه بغير القول انه جلس على صخرة المكس ليأكل السمك المياس ، وليفكر في مصير الشمس بعد الغروب ، وليقول انه تحاور مع هيان بن بيان » !

ولم يكتف زكي مبارك بالرد على كلام احمد امين ، بل اردف ذلك بالكشف عن « سرقاته » ، واغربها انه سرق آراء الدكتور زكي مبارك نفسه .

حتى اذا ختم سلسلة فصوله التي « ارقت جفون احمد امين خمسة اشهر كانت عنده كالف سنة مما تعدون» قال انه اذا قابل احمد امين « فسأبداه بالتحية حيث ثقته ، فلا يروعني وجها اراه اهلا للكرامة والحب . وسلام عليه من الصديق الذي لا يغدر ولا يخون » .

وقد احسن صديقنا خريس بلم شتات هذه المعركة الادبية التي كان بطلها الصنديد وفارسها الرئبال زكي مبارك ، فلم يكن وكده اذن ان يسوق كلام احمد امين برمته ، ولا ان يسجل جميع الفصول التي حفلت بها المجلات الادبية في ذلك الحين انتصارا لهذا او تعصبا لذاك او تعليقا يراد منه اصلاح ذات البين بين المبارك والامين ، ولعل حسين خريس ، لو اثبت هذه النصوص جميعا ، لجعل من كتابه ـ وان تضخم واكتظ ـ مرجعا ثمينا في الادب ، ومعرضا حيا للحياة الادبية في عصرنا الحالي الذي مات فيه النقد او كاد .

وقد شارك في معركة « الجناية » كثيرون من ادباء العرب ، من لبنان وسورية والعراق وفلسطين والسودان ومصر ، وكلهم نسبت اقوالهم اليهم دون تشكك في شخصياتهم . على ان حسين خريس حين استشهد براي الانسة امينة شاكر فهمي المندرج في مجلة « الثقافة »عقب على ذلك بقوله « لم نتحقق من شخصية الكاتبة ان كانت تكتب باسمها الصريح ام ان وراء هذا الاسم شخصية اخرى » .

ولو ان الصديق العزيز خريس راجع اعداد « الرسالة » و« الثقافة » ومجلة « الطالبة » لوقع فيها على فصول متناثرة لهذه الاديبة التي درست في كلية الآداب على احمد امين وعزام ، والتي كانت « تناوش » زكي مبارك برسائلها فيعلق عليها هنا وهناك ، والتي كانت شديدة الاعجاب بالزيات واسلوبه في الكتابة ، فلما انتهى الزيات وعصره واسلوبه ، وانصرف الكتاب عن الاساليب البيانية الى الاساليب اليومية الدارجة ، او اساليب التعقيد الفكرولوجي ،راحت تجترالآثار القديمة ،وتصرف عن مطالعة الكتب السوقية الاساليب .

ولزكي مبارك قصيدة مشهورة ، بل ملحمة من ملاحم الاسى الصارخة ، عنوانها « من جحيم الظلم في القاهرة الى سعير الوجد في بغداد » وقد نظمها في العراق عندما دعته حكومتها للتدريس في معاهدها وكرمته واحتفت به الدولة ومحافل الادب جميعا ـ على ما سجله عبد الرزاق الهلالي تسجيلا فذا في كتابه « زكي مبارك في العراق » بعد ان كان يذرع فضاء الله في مصر مفتشا على المدارس بعقد موقوت .

ومما قاله في هذه القصيدة :

اربـاه انقذنـي فانـت رميتنـي   بقلـب على عهـد الاحبـاء بكاء

فارادت امينة شاكر فهمي ان تتحدى الدكتور ابرهيم ناجي بان يأتي بشعر من هذا الطراز العالي . فقرات له صدر البيت ، ثم دعته الى اتمام عجزه ، فارتجل :

اربـاه انقذنـي فانـت رميتنـي   بقلب على الاشـواك والـدم مشاء

« امينة » هـذا ما اتـانـي كتبته   وعندك اخبـاري وعنـدك انبائي

وحدث مرة اخرى ان كان الدكتور ابراهيم ناجي جالسا في « نادي سيدات القاهرة » ومن حوله كوكبة من اعضائه ، فهن « امينة شاكر فهمي » والسيدة فلة فهمي بدوي ــ ولها كتاب عن جورج برنارد شو ، ولها فصول كثيرة في المجلات الادبية ولاسيما « الطالبة » ــ فقلن لناجي : اصحيح انك ترتجل الشعر ؟ فأجاب : نعم . فسألته ان يرتجل ابياتا من وحي المناسبة ، فكانت هذه الابيات :

سرب من الحور الفواتن كالزهور نواضر
الهمنني واحطن بي فجرى بشعري الخاطر
الهمنني وشككن بي ونسين اني شاعر
فاذا اعترفن فانني للفضل دوما ذاكر
وانا « لفلة » عارف والى « امينة » شاكر

فهذه الشخصية الادبية اذن ليست شخصية منتحلة، بل هي واقع ادبي يعرفه ادباؤنا المعاصرون وعلى رأسهم نقولا يوسف شيخ مشايخ حارات الادباء المعاصرين !

وان الجهد الذي بذله حسين خريس لانصاف زكي مبارك ، مضافة اليه جهود من سبقوه وهم فاضل خلف في الكويت وانور الجندي في مصر وعبد الرزاق الهلالي في العراق واخيرا محمد محمود رضوان في القاهرة ، هو فريضة واجبة الاداء في حق هذا الاديب الذي اذا تعالى وصف نفسه بانه اعظم رجل في العالم ، واذا تواضع قال عن نفسه انه « خادم من خدام العروبة » . انه اديب جنت عليه عبقريته وكبرياؤه ومطامحه البعيدة فاضطرته الى مقاتلة الناس جميعا في غير وقار . ومع ذلك يقول عن نفسه « لولا نشأتي على الوقار لكنت من كبار المصارعين » . وهو نفسه قد اعترف بانه « اشتهر برعونة القلم وشراسة اللسان » . فكان ، كما قال صالح جودت بحق ، فتى اضاعوه في مصر .

وكانت كريمة زكي مبارك ، ابنة هذا الاديب الكبير، قد نذرت تأليف كتاب بعنوان « ابي زكي مبارك »، ولا ندري متى يصدر هذا الكتاب فيكون على غرار كتاب «ابي عزيز اباظة » لابنته عفاف اباظة زوجة صديقنا ثروت اباظة .

ومع ان كثيرا مما كتبه زكي مبارك ، ولا سيما في احاديثه ذات الشجون في جريدة « البلاغ » يصدق فيه وصف الواصفين بانه « كالخرنوب ، قنطار من الخشب ودرهم من السكر »، فان هذه الفصول المبعثرة ينبغي ان تجمع وان تضاف اليها مقالاته في « الصباح » التي كان يصدرها صديقنا الراحل مصطفى القشاشي ، ومقالاته في مجلة « الرابطة العربية » لامين سعيد ، والمجلة الاخيرة، على انها لم تعمر اكثر من اربع سنين ، فقد حفلت بدراسات ادبية وتاريخية هامة للثعالبي وزكي مبارك وامين سعيد نفسه ، وما زال اخونا الاديب التونسي الراوية الحبيب شيبوب يبحث عبثا عن مجموعتها ، ولن يعدم اريحيا من اريحيي الادب يدله عليها ويضعها رهن اشارته .

وكتاب خريس وهو الذي اغراني بهذا الحديث المستطرد ، كان من الفه الى يائه دفاعا عن زكي مبارك وعرضا كاملا لارائه المسوقة في « جناية احمد امين على الادب العربي » والقارىء عرضة بان يخرج من هذا الكتاب بنتيجة مؤداها ان العلم كله عند زكي مبارك ، والجهل كله عند احمد امين ، ولا احسب ان هذا يصح في الموازين. وان كان الحديث المستطرد يدعو الى وقفة عند احمد امين.

وقد عرفت احمد امين في محاضرة مفتوحة كان يلقيها في جامعة القاهرة ارتجالا ، فكان محاضرا ممتازا سواء من حيث النبرة الرصينة التي تميز المحاضر عن الخطيب، او من حيث شد آذان السامعين ، او من حيث الالمام بموضوعه المام احاطة ، ثم الاقناع بما هو قائله . ثم عرفته في الندوات الاسبوعية « للجنة التأليف والترجمة والنشر » التي كانت تنعقد كل اسبوع ، وتضم حشدا من رجال الفكر مثل : الدكتور محمد عوض محمد ومحمد عبد الله عنان ومحمد مندور وعلي ادهم وعبد الواحد خلاف وعبد السلام الكرداني وعبد المنعم خلاف ومبارك ابراهيم وشوقي ضيف وسيد قطب والدكتور احمد زكي والدكتور زكي نجيب محمود ... وكانت ندوة عليها طابع الوقار ، وهو السمة الغالبة على كل اعضائها ، وكل مناقشاتها في الفكر العربي او في الفكر الغربي تجد من احمد امين مشاركة نيرة فيها . ثم عرفت احمد امين في الادارة الثقافية للجامعة العربية ، وكان اول مدير لها ، وقد استطاع ، على علو سنه ، ان يرسي لها دعائم في الثقافة سارت عليها من بعده . وعندما اصدر كتابه الذي سجل فيه ذكرياته وحياته وسيرته ، وسماه « حياتي » نشرت عنه كلمة في احدى الصحف ، فتلقيت من احمد امين رسالة شكر ما زالت ضنينة من ضنائني . اما احاديثه في الاذاعة فكنت احرص على الاصغاء اليها لارتياحي الى صوته والى الموضوعات التي كان يحسن انتقاءها ليدير حولها احاديثه .

على انني كنت اعجب حين افتح مجلة « الاثنين » وهي مجلة اقرب الى مجلات العوام منها الى دوريات المتخصصين ، فارى احمد امين يكتب فيها فصولا لا تليق برجل في سنه ومنزلته . كما انني كنت ادهش اذ ارى كتبا تصدر حاملة اسم احمد امين كمؤلف او محقق ، الى جانب اسم واحد من شداة الادب . فكيف كانت المشاركة في التاليف بين هذا الاستاذ الكبير وبين من هم بمقام طلابه؟ بل كنت ارى كتبا تصدر وعليها اسم احمد امين كمترجم، مع ان الترجمة لم تكن يوما من اختصاصه .

وايا كان الامر في ذلك ، فقد عرفنا في احمد امين رعاية للناشئة اذكر منها واقعتين ، دون ان انهض الى مجموعتي من « الثقافة » للاهتداء الى موضعيهما . فقد كتب سيد قطب مقالا في « الرسالة » قال فيه ما مؤداه انه بعد

سنوات طويلة من العناء في الحياة الادبية تأليفا وتصنيفا، لم يجد احدا من كبار الكتاب اشار اليه بحرف او اهتم بكتاب من كتبه ، وكانت نغمة المقال نغمة تنضح بالمرارة لان كبار الكتاب يهملون من هم من جيل تال ، ولا يذكرونهم بكلمة خير . وكان الرد الابلغ على شكوى سيد قطب مقالا افتتاحيا حملته « الثقافة » من قلم احمد امين ، وجه فيه الخطاب الى سيد قطب مواسيا ومباركا جهده وموكدا له ان النجاح الحق تراه الناس ولا تعوزها عليه شهادات . هذه واحدة . والواقعة الثانية هي ان صديقنا القديم الدكتور شكري فيصل قدم الى الدكتور احمد امين نسخة من كتابه الاول . فكان حرص احمد امين على قراءته والكتابة عنه وابداء ملاحظاته وتوجيهاته عليه حرصا استاذيا ابويا .

ومعارك زكي مبارك تنتهي دائما بانتصاره ، لانه وحده القادر على المضي في هذه المعارك حتى يجد خصمه الا فائدة من مواصلة الرد عليه ، فاذا افرغ الزكي ما في جعبته ــ وجعبته لا تفرغ ابدا ــ كان الخصم قد لاذ بسلامة الصمت ، وكان هو وحده الواقف في الميدان . وقد قال عنه الزيات ، وهي شهادة رجل بصير بالنفوس ، «ان زكي مبارك لو استطاع تملق الظروف ولو حذق شيئا من الحياة لاتقى كثيرا مما جرته عليه بداوة الطبع وجفاوة الصراحة . ولكن هذه الاغراض النفسية ستفنى فيه وفي الناس ، ويبقى ذلك المجهود العملي الضخم الذي قدمه الى الادب العربي في شتى مناحيه شاهدا على صدق خدمته للادب ورفيع مكانته في النهضة » .

ان زكي مبارك « ظاهرة ادبية » فريدة في حياتنا المعاصرة ، على ما وصفه فتحي رضوان في فصلين له نشرا اخيرا ، كان مكانه الطبيعي بين قادة الفكر في عصره: طه حسين والعقاد ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمي والمازني وعبد الوهاب عزام واحمد امين وشفيق غربال، ولكنه لم يكن يختار الا مجالس صعاليك الادب في مشارب القاهرة ! سافر الى العراق فوقف محمود عزمي يقول للعراقيين ان زكي مبارك مشاغب فاحذروه ، ولكنه قضى في العراق تسعة اشهر ناء فيها بمودات وصداقات واخوات ظلت تلهمه الى آخر العمر ، ولم يخض هنا كمعركة واحدة. و «الشغب» الوحيد الذي احدثه في العراق ، هو مطالبته الحثيثة بانشاء جامعة عراقية تهيء اسباب العرفان لابناء العراق . والكتاب الذي اصدره عبد الرزاق الهلالي عن « زكي مبارك في العراق » هو انشودة حب وغزل في هذا الاديب الذي كان مشاكسا قبل العراق ، وعاد الى مصاولاته بعد العراق.

ولو تأملنا الاسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة المباركية، لما وجدنا الا سببا واحدا هو « الجمود » ، وهو سبب ما زال متفشيا في عالمنا العربي الى يومنا هذا ، يعاني منه في صمت كثيرون من كبار الادباء الذين يرون الحياة تعج بالبهلوانات وترتفع بهم الى سدة الحياة الفكرية، بينما النسيان يلفهم باسمك البرود ، بل الاكفان .

ولو ان الحياة انصفت زكي مبارك ، ووضعته حيث كان ينبغي ان يوضع ، لانصرف الى اعداد كتب جليلة اخرى من طراز « النثر الفني » و«التصوف الاسلامي » و « الشريف الرضي ».

انه اديب جنت عليه عبقرياته والقاب دكترته الكثار ! ففي عشرين عاما من عمر الجامعة المصرية الحديثة لم تمنح درجة الدكتوراة الا الى اثنين ، هما عبد الوهاب عزام وزكي مبارك ، ومع ذلك ابت الجامعة ان تعترف بالمبارك استاذا فيها الا لفترة قصيرة .

والحمد لله ان الوان التقدير التي حرمها في حياته ــ في ما خلا تقدير العراق ــ قد جاءته اليوم تسعى باقلام المنصفين العدول . وصدق حسين خريس في قوله :

انها محنة جيل لطخت … وجهه الناصع احقاد القلوب
محنة الحق الذي لم تاله … من جهير القول والراي المصيب
محنة العدل الذي لم تلفه … من خصيم واليف وغريب
محنة القلب الذي ظل على … ظما يهمي ينابيع طيوب
كنت في دنياك فردا واحدا … تتابى الظلم لا تخشى الخطوب
فلتعش فينا حضورا مطلقا … شمس فكر عن دنانا لا تغيب

ترى هل تعلمنا من قصة زكي مبارك درسا يداوي امة العرب من داء الجحود ؟

القاهرة **وديع فلسطين**

اغنية القنديل

قدماي تحترقان
في دنيا عبوري
وتسيطر الاسوار في
اقصى شعوري ..
لم لا تحددني ...
وتدخل في دياجير اختناقي
لم لا تجف من تعاشيبي
تعاسة مولد .. واسى قديما
لم لا ترافقني
الى غبش المجاهل والغيوب
فارى بعيني الموت والميلاد
افهم كيف ينتقل الزمان بلا مكان
اسمع الهمس الذي ينتابني فاذيب نفسي
.. فوق اوراقي حنينا واحتجاجا..
لم لا ترافقني
فاحيا لحظة زرقاء من عمري العقيم

الناظور ــ المغرب **القمري الحسين**

الغريب

●

الى اين تمضي ؟
وحيدا كصبارة القبر
وجهك بئر الجفاف وصمت الربابه
واحزانك المعشبات استطلن واصبحن غابه
الى اين تمضي ؟
وليل المدينة يمتد حولك
والمطر المستهل يباكي شوارعها الخاليات ؟
وانت وهذي الوريقة فوق الرصيف
تزوبعها الريح ..
لا من صديق
ولا من ضياء سوى ذبذبات المصابيح
والشقق الدافئات تسلل منهن عبر
النوافذ خيط من الضوء ...
ينبىء عن آخرين يعيشون جو الحنان
وطعم المودة ..
كوب من الشاي ؟ ... لفظة ود ؟ وجلسة
عائلة ما تريد ؟ وكيف ؟
وانت الغريب الجديد على هذه البلدة
المستحمة في مطر الليل ارملة
كفنتها الدموع ..
ستمشي ويرسب في قلبك
المطر المتساقط في الطرقات ..
وحيدا كصبارة القبر
وجهك بئر الجفاف وصمت الربابه
واحزانك المعشبات استطلن ...
واصبحن غابه .

بغداد كمال نشأت

زوجتي الحبيبة ..

هل تسمحين لي بان اخرج من المألوف فلا ابدأ رسالتي بمقدمة نكاد نحفظها على ظهر قلب من سلامات وتحيات ، هي حقا من القلب .. ولكنها الى اللسان والقلم اقرب .

اكتب لك من سيناء .. ولا اجدني في حاجة الى اعتذار ، او ذكر اسباب عن غيابي عنكم ما يقرب من الشهر او يزيد . واعذريني مرة اخرى ، فنحن هنا لا نعرف الزمان ، ولا نقيم له وزنا ، ولا اظننا في حاجة اليه .. وليس لنا من معرفته مأرب . كل ما يعنينا منه تاريخان ، احدهما عرفناه ، اما الاخر فما زلنا نترقبه ونتربص به .

الاول المعروف هو السادس من اكتوبر ١٩٧٣ والثاني المرتقب هو اليوم الذي سيتوج اليوم الاول ويغمره بالاكاليل والزهور . تاريخان يكونان معا جملة مفيدة وعملا مجيدا . الاول مبتدأ مرفوع ، والثاني خبر .. ولا بد ان يكون مرفوعا . ومهمتنا هنا كما تعلمين هي هذا الخبر ، فلا نقبل له نصبا ولا جرا . ومهما حاول الاعداء المخادعة والمواربة والتضليل في محاولات لكي لا يكون الخبر مرفوعا بالضمة الظاهرة ، فلن ينالوا من وراء ذلك مأربا . فسواء كان الخبر جملة اسمية او فعلية او شبه جملة فسيكون حتما في محل رفع . هذه لغتنا .. وهذا ايماننا .

زوجتي الغالية ..

احمد الله سبحانه ان وهبني زوجة متعلمة .. بل ومدرسة لغة عربية . واهم من ذلك كله انها مؤمنة ولست في حاجة الى ذكر المزيد مما احتفظ لك به من حب وتقدير .

اما انت يا عزيزتي سحر .. فلا ادري ماذا يجب ان اقوله لك ، ان قلبي ليجيش لك باكثر مما تستطيعين فهمه وادراكه ، في ميلادك السابع الذي تخلفت عن مشاركتكم فرحته واستقباله لاول مرة منذ ان اشرقت علينا شمسك البكر ، واقتحمت علينا خلوتنا الجميلة ، فزادتها جمالا . *واحالت عالمنا الضيق الى عالم رحيب ،* وبدد خمولنا ... فاضحى سعيا وبذلا ، ولكن في لذة وشوق .

انني لم اتخلف عن حفل ميلادك رغبة مني ، ولكن لاداء واجب جليل ... هو ايضا من اجلك ومن اجل امك ، ومن اجل كل من تعرفينهم وتحبينهم . انني لم انس يوم العاشر من اكتوبر ، لانه يوم ميلادك . ولكن ما حيلتي وقد شغلتني عنه احداث واحداث .

لا تغضبي يا بنيتي العزيزة ، حين تعلمين انني فضلت عليك عزيزا اخر ، وآثرت يومك يوما اخر . فستعلمين حين يستوي عودك ، وينضج فهمك ، ويتسع ادراكك انني كنت على حق ،



بقلم السيد عبد العزيز الجندي

●

وانني لواثق من انك ستشكرينني وتفخرين بي اذا طال عمري . اما اذا لم اعد ، وقدر لي ان اكون مع الصديقين والشهداء فستذكرينني دائما بخير ، وستفاخرين بي كل الزميلات والصديقات لانك ستدركين بانني لم افعل ذلك الا من اجلك وما ضحيت بروحي راضيا قانعا الا فداء لك ولكل من تعرفينهم .



لقد حل علينا العاشر من اكتوبر.. *يوم ميلادك العظيم ونحن في خضم* المعارك ولججها . ورغم ذلك كله لم يفارقني طيفك العزيز . كانت صورتك في مخيلتي بمثابة سلاح جديد في يدي .. وزميل وفي يشد ازري .. ودافع قوي يدفعني للوصول الى غاية اسمى من كل غاية .

كنت واقفا .. احمل قاذفا مضادا للدبابات ، اصلي به دبابات العدو نارا ذات لهب . وكلما اصبت واحدة ، اشتاقت نفسي الى غيرها . واذا اصيبت احدى دباباتنا ، اسرعت الى نجدة طاقمها في عزم واصرار . فقد كانت عقيدتي حين ذاك انني ادافع عنك انت .. واذود عنك كل ضر واذى . وقد مر بخاطري شيء عجيب ضحكت كثيرا مع زملائي حين ذكرته لهم ، وتندرنا عليه كثيرا حين هدأت المعارك .. لقد فكرت ان احتفظ باحدى دبابات العدو والمدمرة لاجرها لك .. لا ادري كيف .. ولكني كنت راغبا في تقديمها لك هدية في عيد ميلادك السابع لاقول لك : هذه الدبابة كانت تريد ان تفتك بك .. فدمرتها .. واحضرت لك حطامها هدية لك .

في ذلك اليوم .. وبعد ان تبددت فكرة تلك الهدية ، راودتني فكرة اخرى اقتنعت بها تماما وهي ان اقوم وحدي بتدمير سبعة من دبابات العدو وبنيران قاذفي . واحصيت ما دمرته في ذلك اليوم فوجدته خمسة دبابات ، وكان لا بد لي ان اتمها الى سبعة ، لتكون كل منها بمثابة شمعة تطفئها مقذوفاتي كما تطفئين شموع ميلادك . ولم اكد انتهي من تخيلاتي ، حتى لاحت لنا من بعيد مجموعة هائلة من دبابات العدو . وفي لمح البصر تحركت دباباتنا .. واخذنا نمطرها بوابل من قذائفنا يمينا وشمالا حتى القينا بها بين براثن الصحراء فتمزقت .. وتدمرت .. وذهبت بددا . وفي نهاية المعركة ، خلال فترة هدوء

قصيرة ، اردت ان احصي ما دمرته بقاذفي من دبابات ، فلم استطع كل ما عرفته انني دمرت اكثر .. بل اكثر بكثير من عدد سنوات عمرك .

عزيزتي الغالية سحر ...

لقد استمرت المعارك بعد ذلك في ضراوة وعنف ، اشتركت فيها جميع اسلحتنا من طائرات ودبابات ومدافع وغير ذلك من اسلحة .. استطعنا فيها ان نحرز انتصارات عديدة ... وبطولات نادرة بفضل ما نكنه لكم من حب .. وبقدر ما تبذلونه انتم من اجلنا . ولا اجدني في حاجة الى مزيد من وصف هذه المعارك ، فلا شك ان صحفنا ومجلاتنا وجميع اجهزة الاعلام عندنا تتحدث عنها . ولكنني ساحدثك في رسالتي هذه عن ذكريات عزيزة .. سبق ان تحدثنا عنها كثيرا .. امك وانا . انها فلسطين الحبيبة ، التي سعدنا بزيارتها .. امك وانت وانا ، في نوفمبر عام ست وستين .. قبل عدوان الخامس من يونيو بشهور قليلة . انني احاول الان ان اسبق الزمن ، وان اخترق هذه الحواجز التي لم تحطمها اسلحتنا بعد ... وكأني استجدي الزمن ان تحملني رياح ساحرة الى حيث كنا ننعم بخيرات فلسطين .

اننا نقف الان في ارض سيناء ، على مسافة من قناتنا .. ما زلت اعتبرها قصيرة . لقد عبرنا القناة واجتزنا بذلك اكبر عقبة في حسابنا ، وحطمنا كذلك خط بارليف الذي صوروه لنا شبحا مخيفا .. لا ينجو من يحاول الاقتراب منه . حطمناه .. وتخطيناه .

وكل ما بقي في الطريق اليها .. الى فلسطين اصبح هينا سهلا . ولكن لا حيلة لنا ولا خيار ، ولا مناص من تنفيذ اوامر المسؤولين من قادتنا بالتوقف ووقف القتال .

عزيزتي سحر ..

كلما تسللت الينا فترة راحة .. مهما قلت وقصرت ، عادت الي ذكرى ميلادك السابع .. وتسرب في هذه الذكرى خاطر غريب ملحاح . يهيب بي ان ارسل اليك هدية هذا الميلاد ، ولا اكتمك انني ضحكت احيانا من سذاجة هذا الخاطر . فبماذا ابعث لك ، وانا في سيناء ، لا اجد حولي ما استطيع اهداءه لك . عند ذلك .. يتقطب جبيني ، واجد نفسي غير راض عن قرار وقف القتال فلولا ذلك لكنا الان في العريش .. او ابعد من ذلك باذن الله . ولكنني اهتديت اخيرا الى هدية قد تكون غريبة .. وقد تكون فريدة في نوعها .. وقد لا تناسب عمرك وادراكك ... ولكني مرسلها على اي حال . لانني على يقين من ان معناها سينجلي امامك على مر الايام والاعوام .

لماذا لا ارسل لك حفنة من التراب .. من ارض سيناء الرحيبة .. ولكن كيف اضعها في مظروف رقيق من الورق ، ستتقاذفه مكاتب البريد من بلد الى بلد . وتتلقفه الايدي في اكثر من مكان فضلا عن انه سيكون مثيرا للريبة . لذلك .. فقد اعرضت عن تنفيذها ، خاصة بعد ان لاحت لي في الافق البعيد فكرة جديدة نالت مني قبولا وتفضيلا .

لماذا لا ارسل اليك شيئا رمزيا من بعض الاماكن والمدن التي من اجنها نحارب ، واليها نسعى . ؟ ولما كانت هذه الاماكن كثيرة وفسيحة ، فسأختار لك سبعة منها . وسأرمز لكل منها بحبة من الرمل : الحبة الاولى .. من الشاطىء الشرقي للقناة .. القناة التي اغتصبتها منا عصابة الصهاينة منذ اكثر من ست سنوات ، في اعقاب حرب خسرناها ، نتيجة لاخطاء نحن بريئون منها براءة الذئب من دم بن يعقوب .

اذكر انني وصفت لك يوما هذه القناة ، وكيف قضينا ساعات طويلة نلهو في حدائقها عند المنطقة رقم ستة بالاسماعيلية ، ونسبح بين امواجها الصافية الرقراقة في قارب صغير ، وانت على صدر امك في دثارك الثقيل . ان الصور العديدة رابضة في الالبوم تزينها وتنيرها صورتك الحبيبة حين لم يتجاوز عمرك شهورا معدودة .

اتذكرين يا حبيبتي حين كنت تطلبين مني وتلحين علي ونحن نستعرض تلك الصور ان اصحبك معي للنزهة في هذه الاماكن من جديد .. وهل تذكرين اجابتي عن رغبتك هذه .. ؟ كنت اقول لك : قريبا يا عزيزتي .. قريبا ان شاء الله .

لقد كنت ابتهل الى الله عز وجل ان يعينني على تنفيذ رغبتك الغالية . وقد استجاب الله دعائي بعد ان استطعنا بعونه ان نعبر قناتنا ، ونطهرها من الرجس ، لكي ننعم بالنزهة فيها آمنين مطمئنين هذه هي القناة .. وهذا هو رمز اول حبة من حبات الرمال .

اما الحبة الثانية .. فقد اخترتها لك رمزا لاول مدينة صغيرة نمر بها .. او يمر بها قطار الشرق في طريقه الى فلسطين . انها مدينة القنطرة شرق ، التي استطعنا في سهولة ويسر تطهيرها وانتزاعها من الاعداء . هذه المدينة التي يستريح عندها القطار في رواحه وايابه ، يلتقط انفاسه ليتيح الفرصة الى سكانها من اهالي وموظفين لاستقبال الزائرين منا والعائدين ، وفي مقدمتهم رجال الجمارك العرب لمراجعة ما نحمله من هدايا .

ثم يستأنف بعدها رحلته الطويلة ، ينساب بين الرمال في اناة ، مقتربا من البحر الابيض حينا ، ومبتعدا عنه احيانا ، ليتيح لنا رؤية تلك البقاع .. بحرها وبرها . كلها ملك خالص لنا دون غيرنا .

حتى اذا ما وصل القطار الى منتصف المسافة بين القنطرة والعريش يتوقف وقفة قصيرة ، عند قرية عربية اصيلة .. هي بئر العبد . تلك القرية التي تستقبلنا من بعيد برائحة الشواء تزكم انوفنا .. وتحرك

امعاءنا . وفي لهفة وشوق نجد الرؤوس قد اطلت من نوافذ القطار ، لرؤية اولئك الصبية الذين يحملون السمك المشوي والخبز .. يتجولون لعرض بضاعتهم على الزائرين ،حيث لا يجدون مشقة ولا عناء .. فالكل يعرف ان معظم سكان هذه القرية صيادون .. وبجوارهم البحر العظيم بما فيه من ثورة مائية هائلة . كما يعمل اولئك البائعون الوانا اخرى من البضائع والماكولات كالتمر .. يضعونه في سلاسل صغيرة من زغف النخيل، تزيد على حلاوة مذاقها جمال منظرها ورونقه . ولا اكتمك سرا يا عزيزتي ان ذكر خيرات هذه البلدة .. بئر العبد قد اسال لعابي . لذلك .. فلا يفوتني ان ارمز لها بحبة الرمل الثالثة .

واذا ما تحرك القطار من بلدة السمك والتمر .. وقد استوى الركاب على مقاعدهم ، راضية نفوسهم طالعتهم من النوافذ اشجار النخيل غزيرة على جانبي القطار ، ترفع قاماتها الى عنان السماء في اباء وشمم .. تدعو الزائرين الى معاودة ابراز رؤوسهم من النوافذ رغم ما يقابلهم من اتربة وذرات ، حتى لا يفوتهم التمتع برؤية مزارع النخيل الممتدة على امتداد الصحراء.

وعندما يهدأ الغبار شيئا فشيئا ، ونشعر نحن المسافرين بنسيم رطب ندي ، بلا غبار ولا رمال .. وعندما نسمع انين عجلات القطار ، وتثاؤب عرباته ، وطرقعة مفاصله .. يكون ذلك اعلانا عن اقتراب مدينة العريش حيث يبدا المسافرون اليها في جمع حقائبهم وحاجياتهم ، والتوجه الى ابواب القطار .. حيث تستقبلهم جموع حاشدة من المستقبلين على المحطة .. التي يقرب منها ويكاد يحتضنها البحر الابيض الذي تنتشر على شاطئه مزارع النخيل ، وتقام المباني والخيام .. وتظهر عن كثب شماسي المصايف بالوانها الزاهية وسأرمز لهذه المدينة العربية بحبة الرمل الرابعة .. تلك المدينة التي تنبض بالحياة في قوة وصخب صيفا وشتاء ، مكتظة باهلها وساكنيها وزائريها .. من مدنيين وعسكريين من افراد القوات المسلحة الذين يتطلعون الان اليها في شوق ونهم .

ويتحرك القطار في قوة ونشاط ، بعد ان يترك افواجا ويصطحب افواجا اخرى . وتزداد سرعته عن ذي قبل على مدى ساعة من الزمن ، بلا شكوى ولا انين في جو صحو جميل .. حيث تقل مزارع النخيل وتستقبله انواع اخرى من المزارع .. مزارع الصحراء ذات الجمال الرباني .. ترويه السماء بمائها وتتعهده برعايتها وقدرة خالقها .. وكما يستعيد القطار نشاطه ننسى نحن الركاب مشقة السفر وجهد رقابنا ورؤوسنا المشدودة خارج النوافذ .. في محاولات دائبة لرؤية كل شيء من انسان وحيوان ونبات . ولا يكاد احد منا ينظر الى ساعته حتى تطالعنا مشارف الرفحين ... رفح مصر .. ورفح فلسطين . هما بلدة واحدة لا يفصلهما غير سور وهمي في محاولة لرسم حدود مصر وفلسطين . قد تسالين الان .. وقد يكون سؤالك غدا .. او بعد غد عن سبب وجود هذا الفاصل ، ولكني سأترك الاجابة على سؤالك هذا لامك .. فربما تستطيع اشباع فضولك بما لها من قدرة في هذا المجال .

لقد قضينا في رفح فلسطين التي سأرمز لها بالحبة الخامسة يوما كاملا .. ساعات طويلة ، مرت كأنها دقائق معدودة .. ونحن ننتقل من متجر الى متجر ، ومن معرض الى اخر ، نشاهد .. ونستعرض .. ونساوم .. ونشتري . كنا مأخوذين بروعة تلك المعارض ، وما تحمله من مختلف الهدايا والتحف من ملبوسات ومفروشات واجهزة . واذكر الان ان اول ما فكرنا في شرائه، واول ما اشتريناه بالفعل هو البطانية الصوف الصغيرة ، التي دثرناك بها، وذلك (الزعبوط) الذي وضعناه فوق رأسك باطرافه الكثيرة المتدلية، وخطوطه المزركشة الزاهية .. وما تبع ذلك من ضحكات وتعليقات ،وانت مستكينة على صدر امك ، تنظرين الينا وحوالينا في براءة وطهر .

تلك هي رفح يا عزيزتي ، التي يستريح عندها القطار قليلا ، ثم يواصل رحلته في قلب فلسطين الحبيبة .. وفي ارضها الرحبة ، المليئة بالخير والحب والذكريات .. مارا بكثير من القرى الصغيرة بمبانيها وخيامها حتى يقف وقفة قصيرة اخرى عند خان يونس التي لا تختلف كثيرا عن رفح ففيها المتاجر والمعارض، وان كانت اقل عددا وروعة من سابقتها .. رغم انها اوسع رقعة ، واكثر ازدحاما بالسكان الفلسطينيين والمصريين من رفح .. ذي الشارع الواحد الشهير ، الذي تنتشر فيه المعارض على الجانبين .

لم نتشرف بزيارة خان يونس حينئذ لضيق الوقت ، وارتباطنا بالايام الثلاث المحددة لزيارتنا وان كنت انا قد زرتها كثيرا من قبل ، وقضيت في معسكراتها كثيرا من الايام والليالي في نطاق عملي . وحتى يحين اليوم الذي نزورها فيه مرة اخرى ، وقد استوى عودك ، وتستطيعين مشاهدتها ويكون معنا ايضا اخوك الصغير خالد ، الذي كنت تتفاخرين عليه عند ذكر تلك الزيارة التي رافقتنا فيها ، ولم يكن هو قد ولد بعد .. الى ان يحين ذلك اليوم ، الذي اراه قريبا باذن الله سأرمز لهذه البلدة خان يونس بالحبة السادسة .

ويتحرك القطار في اناة مرة اخرى كأنه في نزهة بين تلك الربوع والمروج .. ويصل الى اسماعنا صفيره المتقطع ، كأنه يتثاءب من جراء عمل شاق طوال يوم كامل اوشك على الانتهاء . حتى اذا ما وصل الى مدينة غزة .. نهاية المطاف ، توقف عن المسير ، وطالت وقفته ، ليفرغ ما به وما عليه من اثقال . لقد كان ذلك اليوم من اجمل ايام حياتنا .. يوم ان وقفنا على رصيف محطة غزة ، ننفض ما علق على ملابسنا من تراب.

وقادنا احد الحمالين الى اقرب فندق من المحطة ، لا اذكر اسمه .. ولكنه كان فندقا جميلا وما اكثر

الرجعي اليك

أأبعد عنك ، والرجعي اليك ... وقلبي بات مرتهنا لديك
وانت اذا تدجى افق عمري ... ابحت لي السنا في ناظريك
حنانك ، لست عن دنياك أنأى ... ولا عتبى علي ولا عليك
وحسبي من هواك الحلو اني ... تعلمت الوفاء على يديك

فوزي عطوي

الفنادق الجميلة في تلك المدينة . وارادت امك ان نغادر الفندق لتونا ، لكي نستطيع الالمام بمعالم غزة قبل حلول المساء ، ولكني طمأنتها الى اننا في مدينة لا تفرق كثيرا بين ليل ونهار ، لما في ليلها من انوار واضواء ... وزينة وخيلاء ، كأعظم احياء القاهرة والاسكندرية .. ودمشق .. وبيروت . خاصة في شارعها الرئيسي الكبير .. شارع عمر المختار ، الذي يمتد من المحطة الى البحر ، والذي لا يخلو من الزائرين من مختلف الجنسيات العربية ، بالاضافة الى الجنسيات الاخرى من غربيين وشرقيين من السياح والبوليس الدولي .

تجولنا في شوارع تلك المدينة ليلا ونهارا .. وزرنا معظم محلاتها التجارية . واكلنا كثيرا من خيراتها .. وانت معنا ، لم تفارقينا لحظة واحدة .. تنظرين حواليك في براءة الملائكة ونحن نداعبك ، ونتناوب حملك .

اذكر اننا في اول ليلة قضيناها في غزة ، بعد ان انهكنا المسير ، وفي اعقاب سفر طويل واخذ منا التعب كل مأخذ ، عدنا الى فندقنا ومعنا مما نحمل من هدايا كثير من التفاح الذي قل من يزور غزة ولا يتذوقه . في تلك الليلة داعبناك بقطعة من التفاح على ثغرك الجميل .. وكدنا نطير فرحا عندما اخرجت لسانك الصغير تلعقين به التفاح يمينا وشمالا ، فكان اول طعام تتذوقينه بعد ثدي امك . كما اذكر ان حجرتنا بالفندق كان بها اربعة من الاسرة ، استأجرناها كلها لكي لا يشاركنا في الحجرة غيرنا . فكان لك سرير خاص . وفي الصباح وجدنا الحشية من تحتك .. وما عليها من ملاءات قد تبللت في اكثر من مكان . وكان موقفنا حينئذ غاية في التحرج . فلم نغادر الفندق في ذلك اليوم الا في ساعة متأخرة .. بعد ان قلبنا الحشية على وجهها الاخر ، وبعد ان جفت الملاءة وما تحتها وما عليها .

وفي الليلة الثانية نقلناك الى سرير اخر ، واحطناك بعدد من الوسائد لكي لا تتركي لفائفك الى مكان اخر . وفي الصباح اخذنا نضرب اخماسا باسداس ، عندما وجدنا لفائفك جافة ونظيفة اغلب الظن انك كنت تبحثين عنا ، يمينا وشمالا .. وفوقا وتحتا .. واماما وخلفا . وكنت تتركين اثرا لك في كل مكان .. ودليلا يهدينا اليك .

وعقدت مع امك جلسة طارئة .. ومغلقة . بحثنا خلالها الموقف واحتمالاته ، وقررنا في نهايتها الاعتراف بما الحقناه بصاحب الفندق من اذى . كما تقرر تعويضه عن خسائره في صورة منح سخية نقدمها لمندوبه الدائم المكلف بخدمتنا .

وفي الليلة الثالثة .. آخر ليلة نقضيها بالفندق ، قررنا ان تشاركينا فراشنا ، حيث جمعنا سرير واحد ، وانت في وسطنا محاصرة بين لفائفك .. ومن خلف لفائفك اقمنا خطين منيعين هما امك وانا وفي الصباح وجدنا الحصار مفككا ، وخطي الدفاع محطمين بوابل من قذائفك السائلة .

والحمد لله لقد كانت عندنا امدادات كافية من الملابس التي استبدلنا بها الملابس المبللة . ولم يكن لدينا وقت فسيح لعقد اجتماعات اخرى ، حيث كان القطار يتحرك من غزة ليبدا رحلة العودة في فجر كل يوم . لذلك ... فقد اخلينا حجرتنا على عجل ؛ حاملين حقائبنا لنلحق بالقطار . وفي نيتنا عزم وتصميم وفي قلوبنا شوق لمعاودة زيارة هذه المدن كثيرا ... وكثيرا .

عزيزتي سحر ..

لقد وصفت لك هذه الاماكن العربية دون تفصيل ولا اطناب . ولكني اعدك بزيارتها قريبا ، بعد ان يتم لنا النصر باذن الله . كما اعد اخاك خالدا بأن يكون معنا لكي لا تفاخريه بذلك مرة اخرى . وستكون اقامتنا بنفس الفندق ، الذي تركنا فيه اثارا منك ، وسيكون خالد كبيرا .. ولن يفعل ما فعلته انت . وستعتذر الى صاحب الفندق عما تركناه من آثار . وانني لواثق بان ذلك الرجل اذا كان موجودا ولم يقتله المستعمرون ، او يطردوه من بلده .. او يجبروه على الرحيل سيشكرنا ويرحب بنا اكثر من ذي قبل لان الاثر الذي تركناه في حجرتنا ، وعلى جميع الاسرة يحدث من كل طفل صغير ومهما يكن من امره فان ذلك بلا شك افضل بكثير من آثار اقدام الصهاينة التي تدنس كل نظيف وطاهر . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

هذه هي حبة الرمل السابعة .

وهذه الحبات السبع هي هديتي اليك في ميلادك السابع ، وسيثبت لك الزمن ، ويؤكد لك المستقبل ان هديتي هذه هي اغلى واثمن من كل الهدايا التي قدمت او ستقدم لك .. لانها وثيقة عمل وجهد ، ونصر باذن الله .

والى ان نلتقي ادعو الله ان ينعم علينا بالنصر والحرية .. انه سميع مجيب الدعاء . والسلام .

القاهرة السيد عبد العزيز الجندي

اغـتراب

قـدرا كان حملنـاه اتفاقا
وارتضيناه لقـاء وافتراقـا
وارتحلنـا
كلنا سـار على درب وحيدا وبعيـدا
يحتمي في حلم صيف كـان يوما
وباطراف غد يبدو على الافق شراعا
يطـا الايـام همسا

لـم تكـن فرقـة قسر
لم تكـن لحظة قهر
كانت اللوحـة وحيا عبقريا
لمسات تجمع الالفين
ابداعا ونبضا ورويا
يسمع الكـون على القـرب
وفي البعـد لقـاء وارتحالا

الجنـاح الغض يقـوى
وجنـاح الشـوق يقـوى
هكذا قلنا وكان القول لحنـا
هكذا قلنا وكان القول بردا
وسـلامـا حين قلنـا
ورحاب الكون كانت في يدينا
نحتـويهـا
نحتوي كـل ضفاف الصخر
والنضـرة فيهـا
ونحط اليوم او نعلو غدا
ان نحـن رمنـا
نـذرع الافـق على موجة صبح
او على متـن نجـوم
ان اردنا الافق والكون مجالا

لـم نشقـى
لـم يـا اختـاه نشقـى
لـم يـا شق حيـاتـي
يا حدود القيد ادميت جناحين ولكن

كيـف اشكـو
ورحيـق الارض
زاد ليس يغنى عنـه طير
ورحيـق الارض
تحميـه شباك وشراك
يـا اديـم الارض ...
يـا امـا رعتنـا
اودعتنـا سرها المجبـول
بالطين وبالروح كيـانا وجناحا
يرتقـي الآفـاق يومـا
ويعـود الطير للارض ملاذا ومراحا
ليس للاسر يعود الطائر الحائر لكن..
شرعـة الطين تناديـه ..
فيرتـد ويبقى اليوم يا اختاه
ضـوءا وظـلالا

العـذاب الحلـو نغشاه سويـا
وسحـاب فيـه اطيـاف شعـاع
ونـداء الـروح
ينسـاب على متـن اغتراب
وغمامـات التيـاع
قـدرا كان حملنـاه اتفاقا واقتدارا
وارتضينـاه حيـاة ومسـارا
وارتحلنـا
كلنـا سـار على درب وحيدا وبعيدا
وقريبا يلتقى الدربـان
او لا يلتقي الدربـان ..
فالكـون صغير وكبير
واديم الارض انشودة نور وتراب
ان رحلنـا او حللنا
جسـد يصهره القيـد وصمت
وجناح ترتقيه الروح اعصارا وشوقا
وجمـالا

جامعة الاسكندرية لطفي عبد الوهاب يحي


الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

بقلم عجاج نويهض

* * *

وعدنا ، اننا من الان فصاعدا ، نتكلم على ما قام به فقيد فلسطين والعالمين العربي والاسلامي الحاج محمد امين الحسيني رحمه الله ، من مشروعات كبيرة في فلسطين واهم ذلك كله مشروع عمارة المسجد الاقصى المبارك ، وقد ظل العمل به نحوا من سبع سنين آخرها ١٩٢٩ على ما سيأتي ايجاز وصفه . ولكننا نتناول الكلام على هذه المشروعات والمنجزات اولا باول حسب تواريخها ،ونبتدىء بمشروع « دار الايتام الاسلامية الصناعية » في القدس ، وهنا اول القافلة .

كانت فلسطين منذ القرن الماضي تحتوي على اكبر دار ايتام عرفتها البلاد ، هي دار ايتام المانية تسمى باسم صاحبها « شنلر » المنشىء لها ، واما الاسم الرسمي المسجل فهو « دار الايتام السورية » ، وانما اطلق عليها السورية، اذ وقت انشائها كان اسم سوريا هو الاعم الاشمل . وكان المؤسس السيد شنلر رجلا انسانيا فاضلا ، مربيا خبيرا ، وجعل هذه الدار تحتوي على جملة صناعات ، منها الطباعة العربية والافرنجية ، والايتام يقبلون من جميع البلاد من فلسطين ولبنان وسوريا ، واشتهر هذا المشروع في فلسطين ولاسيما في خلال مدة ما بين الحربين ، وموقعه في الجهة الشمالية الغربية من القدس على يمين المسافر من القدس الى يافا بالسيارة ، ولكن بعد ١٩٤٨ هب اليهود يضايقون هذا المعهد مضايقة خانقة ابتغاء حمل اربابه على بيعه كله جملة وتفصيلا ، ولما راى ارباب المعهد ان لا حياة لهم مع الافاعي فاضطروا الى البيع وانتقلوا الى « خربة قنفار » في البقاع اللبناني تاركين في فلسطين آلاتهم ومصانعهم واثقالهم وما استطاعوا تشييده في قنفار قليل بالنسبة الى شنلر القدس . وقد اتينا بهذا كله عن معهد شنلر لنقول ان مشروع دار الايتام الاسلامية الصناعية في القدس ، انما انشىء للعلم والتهذيب والصناعات على غرار شنلر .

علينا الا ننسى ، ان الحاج محمد امين الحسيني انما خلق لا للسياسة العربية الاسلامية ومناجزة الصهيونية فحسب ، بل كان من مواهبه حب العمران والبناء والانشاء، والترقية والتقدم ، فكأن استعداده الان بعد ان صار مفتيا اكبر ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، بات على موعد لينهض بعبء فلسطين خمس عشرة سنة ، نهوضا تتخلله الثورات الصغيرة والكبيرة ،وهو كلما ثقل الحمل على منكبيه ، ازداد عزما ومضاء ، وقوة وانبعاثا ، وعقيدة وايمانا . خلق الرجل ومعه رسالة . ما كاد « المجلس الاسلامي الاعلى » يباشر اعماله الواسعة ، بعد تسلمه ادارة المحاكم الشرعية والاوقاف الاسلامية من الحكومة ، سنة ١٩٢٢ وجعل دواوينه ومكاتبه احدى تلك المباني الضخمة القائمة حول الحرم الشريف ، من الجهة الغربية والشمالية ، وهذه المباني شبه القلاع والحصون وبنيت في ايام دولتي المماليك حتى اختط مشروعا لانشاء دار ايتام اسلامية في بيت المقدس . وكانت الحرب العالمية الاولى قد نهكت اهل فلسطين كما فعلت في لبنان وسوريا . فكثر الايتام في انحاء فلسطين كثرة بارزة، وكانت المسألة الاولى في التنفيذ وجود الدار المناسبة الكافية الوافية في مبانيها ، فاختيرت السراي التي كان يشغلها « متصرف » القدس او الحاكم العثماني ، وهي رحبة واسعة واقعة داخل المدينة مؤلفة من عدة مبان وطبقات ، ولا تبعد عن دواوين المجلس . ولم يكن المشروع بأصل فكرته الا شاملا الايتام واليتيمات . وشرع المفتي يجمع هؤلاء الذين قال فيهم الله تعالى واوصى : « ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير » ، « الم يجدك يتيما فآوى » ، « فاما اليتيم فلا تقهر » وقال عليه الصلاة والسلام : « انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ــ واشار باصبعه » . وكان الموكل اليهم بهذا العمل يطوفون البلاد ويستعينون بالمحاكم الشرعية والاصدقاء ، لمعرفة مكان اليتيم ، وقد يكون من الصعب الوصول اليه ، لما هناك من احابيل . وكان كثير من الايتام في معهد شنلر الذي سبق الكلام عليه ، وفي معهد الساليزيان في بيت لحم . وطبعا كان هناك في ارجاء فلسطين كثير من الايتام

● راجع عدد مايو ١٩٥٧ صفحة ٣٢

الذين وجد لهم معين من اقربائهم يكفلونهم واما الايتام الذين نعنيهم هنا فهم المنقطعون عن كل قريب او معين .

وكانت « دار الايتام الاسلامية الصناعية » هذه ، من غايتها التي رمى اليها الحاج امين ان تجمع بين التعليم والتهذيب وبين اكتساب الصناعات . فاما الايتام فمتى تخرجوا بشهادات كاملة ، تخرجوا وهم اهل ليعملوا في البلاد كل حسب مهنته وصناعته . واما اليتيمات فبعد اكمال تحصيلهن العلمي ، وعلى الغالب يتعلمن فنون الخياطة ، فيخرجن الى عالم الحياة فتيات راقيات يرزقن من الازواج من هن لهم اهل وتنشأ الاسر الفاضلة على هذا الغرار . فاسست في دار الايتام الصناعات التالية :

- دار طباعة عربية كاملة
- ومن الصناعات النجارة والخياطة (غير الخياطة المتعلقة بالسيدات) وصناعة القش والكراسي الخيزران ، ومهن اخرى عديدة .
- فن التطريز وغيره من الاشغال اليدوية .

وفي وقت قليل ملئت دار الايتام بكل هذه الاعمال فكنت اذا دخلتها وجدت نفسك في مصنع عصري (1) ، ومعهد علمي . فكان هذا المشروع اول مشروع رأته فلسطين من الحاج امين ومجلسه الاسلامي الاعلى ، ناميا مزدهرا يعطي صورة حديثة عن اتقان الواجبات الاجتماعية وكان المجلس الاسلامي يقوم بموازنة الدار ماليا من الاوقاف ، وتنفق واردات الصناعات على التجديد والتنمية . وكانت تقام في ساحة دار الايتام الحفلات والاجتماعات ايام المواسم والاعياد . وكان الحاج امين لا ينقطع عن زيارتها وتفقدها وبذل كل وسيلة لجعل عجلاتها دائمة السير بلا توقف . ومن كبار شعراء العرب الذين وقفوا على منبرها وشنفوا الاذان بقصائد وطنية مرقصة شاعر الشام الاكبر الاستاذ خير الدين الزركلي ، امتع الله العرب بانفاسه الطيبة ،والشاعر القومي الاجتماعي معروف الرصافي ، طيب الله ثراه وغيرهما كثيرون من شعراء البلاد العربية .

والى ان قام المجلس الاسلامي بعد عدة سنين ، بتوسعة مباني « كلية روضة المعارف الوطنية » بالقدس توسعة كبيرة اشتملت على قاعات عصرية وافية ، كانت الاجتماعات والمؤتمرات الوطنية تعقد في ساحة دار الايتام .

وهنا لا بد لنا من الاشارة الى نقطتين وفاء لحق تاريخ هذه الدار : الاولى ان كان في القدس « الحاج ادريس المغربي » واصله من تونس ، ومن سكان القدس في « حي المغاربة » ، وهذا الحي فيه زاوية « ابي مدين الغوث » الشهير ، وسكان هذا الحي من اخواننا المغاربة ، ونعم الرجالات هم ، وهذا الحي هو في ظل الجدار الغربي للمسجد الاقصى المبارك ، حيث مكان « البراق الشريف »، واليهود جعلوا هناك ما يسمى « بالمبكى » ، والمبكى هو المداميك السفلية من هذا الجدار الباقية من الهيكل الثاني الذي بناه هيرودس (٤ قام ــ ٣٧ بم) وقد دمر الصهاينة هذا الحي كله وجعلوه ساحة ، دمر الله كيانهم عما قريب ان شاء الله .

ولم يرزق الحاج ادريس ولدا . ومن هو الحاج ادريس ؟ هو من عشاق الخير والاحسان ، الى عقيدة اسلامية وضاءة . فلما انشئت دار الايتام ، اقبل الحاج ادريس عليها بيدين سمحتين مليئتين بالخير والجود والاحسان ، وتبنى الدار لصنع البر ، وجعل كل يتيم ويتيمة ابنا له وابنة . وفي الاعياد والمواسم خاصة ، كان رحمه الله يغمر « ابناءه » بكل ما يسرهم طعاما وشرابا ومحبة والديه ، حتى ضرب به المثل . واني لا انساه في جميع مواقفه الخيرة المحسنة ، الى خلق رضي ، وامانة كأمانات السلف في الصدر الاول . ولمروءآته الجمة صار يسدي خدمات الى جميع الناس ولاسيما الى الاهالي الذين لهم ابناء او اقرباء في المهاجر ، فيأتونه كل يوم بالحوالات الواردة عليهم ، وهي بالعشرات فينقدهم ، دون ان يتكلفوا الذهاب الى البنك ، وهو يذهب بنفسه الى البنك وبيده الحوالات جملة واحدة ، موقعة ، واي بنك في القدس يسره ان يتعامل مع الحاج ادريس . وكان للمفتي الحاج امين ثقة كبيرة به ويعهد اليه في قضاء امور مهمة وطنية . الحاج ادريس صبيح الوجه المشرب بالحمرة ، يعتمر الطربوش ، لباسه الغنباز النظيف والسترة السوداء الى فوق الركبتين . فاذا رأيت في القدس كل صباح زرافات من الناس ، وخاصة من اهل القرى ، ماشين في تلك الطريق او ذلك السوق ، فاعلم انهم قاصدون الحاج ادريس رحمه الله وجزاه عن بره واحسانه خيرا . اما وطنيته فقد كانت شعلة . وكانت منزلته عند الحاج امين علية جدا ، وهو كان من الموسرين .توفي ١٩٣٨ رحمه‌الله.

والنقطة الثانية هي ما يتعلق بالذين تولوا ادارة الدار والذين قضوا فيها سنوات وهم عاكفون على واجباتهم من مدير واساتذة ومعلمين . فقد كان مدير الدار الاول الاستاذ عارف البديري رحمه الله ، وهو بالاصل من سلك رجال التعليم والتهذيب . فبقي جملة السنين الاولى .وجاء بعده الاستاذ الاداري الخبير جميل وهبه ،رحمه الله ، فبقي فيها اكثر من ثلث قرن ، حتى تعشق هذه الدار تعشقا والتحم بها التحاما غريبا . وفي عهده دخل ايتام الدار ، وهم صغار فتعلموا الصنائع وخرجوا الى العالم وصاروا من آباء ومن رجال الاعمال والاقتصادفي فلسطين،

---

(١) في سنة ١٩٢٢ زار الدار شاعر الشام الاستاذ خير الدين الزركلي فالقى في اجتماع وطني حافل في الدار قصيدة قومية منبهة ، كلها حكمة ونور فنشرتها دار الايتام في بيانها المصور سنة ١٩٥٥ وفي سنة ١٩٢٧ زار الاستاذ الزركلي الدار ثانية فكتب في سجل الزائرين : لم يشرح صدري عمل وطني مثمر كما شرحه هذا « المعمل » النافع ـ خير الدين الزركلي .

وعنصرا يعتد به من هذه الناحية . وكانت وفاة ابي هشام جميل وهبه منذ عدة سنين ، وآخر عهدي به في القدس ويتردد على عمان لقضاء مصالح الدار ومراجعات الدوائر الرسمية . ولدي عدة « البومات » فيها مجموعات من الصور والرسوم التذكارية على ممر الادوار ، تمثل ذكريات هذا المعهد .

وعلي ان ابين ان هذه الدار لما صارت فلسطين تقدم الابطال الشهداء في الثورات والمقاومات ، جعلت تتبنى ايتامهم وتكفل لهم المعيشة الحسنة والتربية الصحيحة . بل اعتادت الدار هذه السنة الحسنة من وقت الثورة السورية (١٩٢٥) لقائدها العام سلطان باشا الاطرش وصحبه ، فقد كان في الدار اكثر من يتيم ابوه شهيد وهؤلاء من اليمن العزيزة . وسعيد اليماني من شهداء الثورة السورية وكان له ولد فتبنته دار الايتام .

ومن الذين زاروا الدار وخطبوا فيها ، وطافوا في اقسامها ، الى سنة ١٩٥٦ ، العلامة الخطيب المصلح الدكتور احمد الشرباصي (القاهرة) في وفد المؤتمر الاسلامي المنعقد في القدس ١٩٥٣ والشيخ مصطفى الغلاييني رئيس المجلس الاسلامي ونقيب الاشراف في بيروت ، والركن من اركان القضية العربية (١٩٤٣) والاستاذ محمد عوض والاستاذ عبد الوهاب عزام ، والسيد عبد الحكيم عابدين ، والاستاذ احمد حسن الباقوري وزير الاوقاف المصرية ، ومن اكابر مناصري الدار السيد عبد الحميد شومان والسيد محمد علي بدير ، والسيد ابراهيم منكو ، والشيخ محمد صدقة المنصوري قنصل المملكة العربية السعودية في القدس والسيد راسم الخالدي والسيد المحسن في بيت المقدس محي الدين الحسيني (٢) والحاج عبد القادر عمر سلامة من تونس والحاج ابراهيم سالم سلامة من تونس ايضا والسيد جودة شمشاعة والحاج معزوز المصري (عمان ونابلس) والسيد مصطفى احمد ابو زيد الشهير بمبراته الانسانية والوطنية ، والسيد امين شاهين ، الى عشرات الشركات الوطنية والمؤسسات وكل هذا اخذنا بعضه من (البوم ١٩٥٦) ومما يسر ان السيدة الفاضلة ام درويش حرم السيد مصطفى حسن في عمان برزت بروزا واضحا في اسداء البر الى الدار ، ومن هؤلاء السادة الافاضل السيد رضا القدومي ، اكثر الله من امثالهم .

وظهرت الحاجة بعد قليل الى مد يد العون الى المكفوفين ، والاعمى اخو البصير ، فافتتحت الدار قسما لهؤلاء الاخوان ، يتعلمون من الصناعات اليدوية ما يمكنهم من اكتساب العيش بكرامة ، كصناعة القش والكراسي الخيزران وما اشبه (٣) .

ولنا في نهاية الكلام على معهد دار الايتام الاسلامية في القدس الملاحظات التالية :

اولا : ان عدد الخريجين من هذه الدار الى العالم العملي ، عالم التجارة والصناعة والاقتصاد ، في فلسطين ، لمدة ٣٣ سنة من ١٩٢٢ — ١٩٥٥ ، يزيد على الف خريج بشهادة المعهد في دليله . فكان معدل ما يخرج كل سنة اكثر من ٣٠ خريجا ، والسنوات الاولى غير محسوب لها تخرج لانها دراسة عملية حتى الوصول الى الشهادة . واذا حسبنا انه في خلال العشرين سنة المطردة من ١٩٥٥ — ١٩٧٥ تخرج خمس مئة شاب لا اكثر ، فالمجموع الى اليوم من سنة ١٩٢٢ الف وخمسماية يتيم ويتيمة كانوا في دروب الشقاء في هذه الحياة فبعث الله اليهم رسالة الحاج امين الحسيني ، فانتقلوا الى ما هم عليه الان اسرا فاضلة في بيوت مباركة ، تحت سقوف تشع فيها الفضيلة ، والى عناصر تعمل في التجارة والاقتصاد ولاسيما الصناعة . وكما ينطبق هذا على الشباب الرجال الاباء ، كذلك ينطبق على الفتيات النساء الامهات . فما اعظم هذه البركات واجزل هذه الخيرات بفضل الباني المنشيء المؤمن الحاج امين الحسيني وهو من المكرمين في اعلى عليين .

ثانيا — ويؤلمني ان اذكر ان الموازنة المالية للدار هبطت بعد ١٩٤٨ و١٩٦٧ الى ما فوق الاربعة عشر الف دينار بقليل ، اذ معظم الاوقاف الاسلامية واقعة في الارض المحتلة . ولهذا السبب تنتظر دار الايتام الاسلامية في القدس ، من الملوك والرؤساء والامراء ، ومن اهل الزيت خاصة ، ومن امثال محي الدين الحسيني والحاج ادريس المغربي ، ان يذكروا قوله تعالى « الم يجدك يتيما فآوى » .

ثالثا — ومن محاسن دار الايتام اعتصامها بالتراث والعروبة والاسلام ، فتجد الخريجين والخريجات على ارقى ما يمكن من الاخلاق الفاضلة والوطنية الحية الصادقة . وهناك « الكشافة » تستن سننا كلها اعتزاز بالتراث وليس في فرقة « الكشافة » في دار الايتام الاسلامية تشبه بالاجنبي ، شكلا او روحا ، بل كل ما في هذا الكشاف لباب ، ومحض خير .

والى جانب « الكشافة » ، فرقة الموسيقى الزاهية الزاهرة المزدهرة ، علت في فنها علوا كبيرا ، ومن يسمع عزفها ولا يخال انه يسمع ارقى جوقات في ارقى بلاد .

ولو تنطق الحجارة ، ويتكلم الجماد في بيت المقدس ، لسمعنا من هذه الفرقة الموسيقية الحانا روحية تقابلها ارواحنا بالهتاف : ما هذا المصحف الكريم المتلألئ ، طبعته واخرجته دار الايتام الاسلامية في اولى القبلتين وثالث الحرمين طباعة آنق ما يكون ، سنة ١٣٧٤ — ١٩٥٤ وهذا

---

(٢) مكثت في القدس ما يقرب من ٣٠ سنة فما رايت اثنين من الناس يستحقان ان يكونا قدوة للامة في البر والاحسان مثل محي الدين الحسيني والحاج ادريس .

(٣) لما جعل احمد حلمي باشا مدير بنك الامة ، رحمه الله ، يشرف من ١٩٣٨ فصاعدا على المؤسسات الوطنية في القدس وغيرها ، انشا في رام الله معهدا لابناء الشهداء سماه « معهد ابناء الامة » واراد الاعزاز بهذه التسمية .

لاول مرة في عصر الطباعة الحديثة ، فلتهنأ بيت المقدس بمصحفها ودار ايتامها ، وذكرى منشىء هذا الـدار ، المجاهد المطارد ، الصامد ، ابو صلاح الدين الحاج امين الثاوي في مقبرة الشهداء في بيروت ، وكأنه في فلسطين، وهو اعلى الله مقامه في اعلى عليين ، من الخالدين .

عمارة المسجد الاقصى المبارك : الحرم القدسي الشريف هو الزاوية الجنوبية من بيت المقدس ، ومساحته مائتان وستون دونما وكسور ، وبيت المقدس من حيث تكوين ارضها بين علو وانخفاض فعلو ارضها في قسمها الغربي وانحدارها يأخذ الى الشرق ، والحرم هو في القسم الذي ينتهي عنده هذا الانحدار ونعني بالقدس المدينة التي داخل السور وهذا السور رممه وجدده بنو عثمان في القرن السادس عشر على عهد سليمان القانوني.

والجهة الجنوبية والشرقية من السور تحتها وادي قرية سلوان ، فالسور هنا في هذه الجهة كأنه سور الحرم . وهذه المساحة يطلق عليها اسم الحرم الشريف ، وهي تقريبا خمس المدينة التي داخل السور وعلى هذا تكون مساحة مدينة القدس كلها داخل السور ١٣٠٠ دونم.

ومساحة هذا الحرم ، اي ٢٦٠ دونما ، تعتبر حرما كلها ، وفي هذه المساحة يقع المسجد الاقصى بطوله وعرضه منتهيا بان يكون جداره الجنوبا امتدادا للسور في العلو . ولا اعتقد ان بشريا على وجه الارض لم يسمع بعد بآيات الله تعالى : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » ، ومسجد الصخرة المشرفة ، وهي قبة عظيمة مثمنة الشكل لا مربعة ، تقع في ساحة الحرم ، لا تنتهي بالسور كما هي الحال في المسجد الاقصى . واذا كان الواحد منا في الحرم ويريد الذهاب الى جهة باب الخليل العليا ، وهناك اعلى علو في تكون القدس ، فيقول اني صاعد الى باب الخليل ، مخترقا الطريق الداخلية في الاسواق . واذا كان الواحد منا في باب الخليل ويريد الهبوط الى الحرم الشريف مخترقا نفس الطريق فيقول اني نازل الى الحرم .

والى مدة قرن قبل تاريخنا هذا اليوم كانت القدس عند غروب الشمس تقفل ابوابها الكبرى وهي ثلاثة او اربعة والى الصباح فلا يدخل احد ولا يخرج فاذا جاء اي كان ووصل الى احد الابواب المغلقة فعليه ان ينام موضعه عند الباب المقفل او عند السور .

وبعد ابتداء الربع الاخير من القرن الماضي ، اخذت القدس تنمو خارج السور الى جهة الشمال والغرب وبعض الجنوب ، بحيث امست مساحة القدس القديمة داخل السور والجديدة خارج السور مساحة كبيرة تشغل عشرات الكيلومترات المربعة .

وهذا العمران الذي بدأ منذ قرن خارج السور بعضه للعرب ، وبعضه لليهود وبعض ثالث للاجانب . وللقدس اليوم اربعة ابواب كلها عبر السور وهذه الابواب هي باب الخليل (اي الباب الذي في اتجاه الخليل ، وباب العمود وباب ستنا مريم والباب الجديد .

وقد وضعت كتب عديدة في القدس واولى القبلتين وثالث الحرمين ، (المسجد الاقصى والصخرة) تؤلف مكتبة براسها على اختلاف العصور حتى اليوم وليس هذا في العربية وحدها بل ايضا باللغات الاجنبية العديدة . وبعد ١٩٤٨ و ١٩٦٧ وضع كتاب من العرب رسائل جمة، وكتبا لا تعد . في القدس والحرم ، وكل هذا ينطوي على ابحاث قيمة .

الخليفة الاموي امير المؤمنين عبد الملك بن مروان الاول ، وهو الخامس من خلفاء بني امية ، ومدته عشرون (٤) سنة على الحساب الغربي (٦٧٥ – ٧٠٧ (هو الذي قام ببناء قبة الصخة المثمنة ، وبعد فراغه من هذا يقال انه ابتدأ بانشاء المسجد الاقصى فتوفاه الله فاكمل الانشاء والبناء ابنه الوليد بن عبد الملك . وشرع في البناء سنة ٦٦هـ وانتهى سنة ٧٢ هـ على اصح الاقوال . ولكي يأمن عبد الملك كفاية المال ، فقد ارصد خراج مصر لسبع سنوات ، ومصر وقتها الضرع الدار في المملكة الاسلامية. واختار عبد الملك اثنين من اكمل الرجال مروءة ، وبعد همة ، وطهارة ذمة : رجاء بن حيوة الكندي ، وجاء في الطبري ان اصله من بيسان ، وهو من العلماء الصدور (حيوة – بفتح الحاء وسكون الياء) ويزيد بن سلام وهو من ابناء بيت المقدس ، والاثنان فلقتا حبة واحدة في كرم الخلال . وقال المؤرخون الثقات انه بعد اتمام العمل في قبة الصخرة ، فضل مبلغ مئة الف دينار ، فجعلها عبد الملك جائزة لهما ، اتتصور بماذا اجابا الخليفة على هذا ؟ قالا له : نحن يا امير المؤمنين اولى ان نزيد هذا البناء من حلي نسائنا فضلا عن اموالنا ، فاصرفها في احب الاشياء اليك . فأمر بان تسبك هذه الدنانير وتفرغ على القبة والابواب ، واعدا غطاء من لبود توضع فوقها حتى اذا جاء الشتاء كان هذا وقاء من الرياح والعواصف والامطار . والوليد بن عبد الملك هو باني الجامع الاموي في دمشق وغيره .

قبة الصخرة المشرفة آية في الفن حتى هذه الساعة والى يوم الدين وقيام الساعة . وهي كما سبق في هذه الكلمة ، مثمنة الشكل ، والبدائع المترفة بالفسيفساء والكتابات الكوفية من عهد عبد الملك بن مروان فصاعدا تأخذ العقل . لا يدخلها احد ، مسلما ام غير مسلم الا ويقف حائرا دهشا وعينه تجتلي البواهر كأنها يواقيت وجواهر .

وبالطبع تعرض الحرم القدسي الشريف لكثير من الزلازل في مدة اكثر من ١٣ قرنا ، فكانت الدول الاسلامية خلفاء وملوكا وسلاطين ، تبادر الى اصلاح الخلل ، من عباسيين وفاطميين ، وصلاح الدين الايوبي الذي بعد

الفتح الصلاحي واخراج الصليبيين ، رد كل شيء الى حاله السابق وزاده ابداعا ، ولما جاءوا الى تجديد المنبر في المسجد الاقصى قيل لصلاح الدين ، نور الله وجهه ، ان نور الدين محمود بن زنكي ، المجاهد الطليعي الاكبر ، قد صنع في حلب منبرا عجيبا من خشب الآبنوس المطعم ليكون في بيت المقدس ، فاتى به صلاح الدين ونصبه في المسجد الاقصى وقامت دولتا المماليك بدورهما باصلاحات كثيرة في الحرم القدسي ، وخاصة اكثرتا من انشاء المباني حول الحرم من الجهتين الغربية والشمالية ، واما سلاطين آل عثمان فما اتوه من ترميم فشيء محدود ، حتى جاء الزمن الحديث والحرب العالمية الاولى ثم ما سبق لنا بيانه من انشاء المجلس الاسلامي الاعلى برياسة سماحة الحاج محمد امين الحسيني سنة ١٩٢٢ وبعد تقديم هذه الاوصاف العامة الى القارىء الكريم عن الحرم الشريف ندخل في مشروع عمارة الاقصى .

ان الاسباب التي افضت بالمسجد الاقصى المبارك الى طرح قضيته من جهة حاجته الماسة ، الى تدارك ما عراه من وهن ، هي طبيعية من فعل الزمن ولا حاجة بنا هنا الى التفصيل . ولكن هذا لا يغنينا عن القول المجمل الذي يفيدنا لباب المسألة : ان قبة المسجد الكبرى اصبحت مرتكزة على اعمدة وركائز تطرق اليها في المواطن الخشبية التاكل والنخر ، فاثر ذلك في المجموعة الكلية وفي سلامة الاقواس التي تحمل القبة ، وبلغ الانحراف في جملة مواضع ، عن مواقع الصحة ، لا اقل من ١٢ سنتيمترا وهذا يعتبر خطرا وله نذره ، ونحن هنا ليس بوسعنا ان نتكلم تكلم المهندسين ارباب التفاصيل الداخلة في الفن الهندسي المعماري ، وحسبنا هذا لجعل ذهن القارىء يتصور الشيء على جملته .

ولعل المشروع نوجزه بفقرات كل فقرة ذات خصوص :

ــ وثب الحاج امين الى اصلاح ما تقدم في المسجد الاقصى ، وهذا لا يتم الا على يد مشروع ضخم يقوم على شقين : الاول هو المال ، والاوقاف التي يهيمن على وارداتها المجلس اعتبارا من هذه السنة ١٩٢٢ لا تستطيع ان ترصد لمشروع عمارة الاقصى غير شيء قليل ، اذ وجوه انفاق واردات الاوقاف مقيدة بشروط الواقفين . والشق الثاني اعداد الهيئة الهندسية العالية المستوى لتحقق المشروع بالتنفيذ . اما الشق الاول فقد ارساه الحاج امين على ان يستندي اكف العالم الاسلامي لهذا المشروع العزيز على كل مسلم على وجه الارض . واما الهيئة الهندسية فقد اختار لها باقعة الهندسة الاسلامية في العالم وهو المهندس « كمال بك » من اخواننا الاتراك ومعه اعوانه وكان في فلسطين رهط كبير من المهندسين الانكليز ذوي الاختصاص ، راعهم ما رأوه من عبقرية المهندس كمال بك .

ب ــ وباشر كمال بك اعماله . وشرع الحاج امين يرسل الوفود الى ارجاء العالم الاسلامي : الى الحجاز ،والعراق، ومصر ، والهند ، والبحرين ، والكويت ، والمحمرة ، وسوريا والمهجر (٥) . فجمعت هذه الوفود الى سنة ١٩٢٤ ثمانية وسبعين الف دينار . يضاف الى هذا ما تمنى المجلس الاسلامي الاعلى من رصده من واردات اوقاف فلسطين وهو ستة عشر الف دينار ، وجملة هذا كله في حدود الخمسة والتسعين الف دينار . اما ما بعد سنة ١٩٢٤ فليس لدينا ارقام ما دخل على المشروع من تبرعات وقت جئنا نكتب هذا في لبنان ١٩٧٥ ولكن مهما يكن من امر من جهة تبرعات ما بعد ١٩٢٤ فانها قليلة .

ومن الجدير بالذكر ، ان الملك حسين بن علي رحمه الله وهو وقتئذ ملك الحجاز تبرع من ماله الخاص بخمسة وعشرين الف دينار نقلها رسول من قبله الى القدس ،وفي القدس ابدلت بالعملة الرسمية في فلسطين . وذهب وفدان الى الحجاز الاول سنة ١٩٢٣ فكان تبرع الملك حسين ، والوفد الثاني سنة ١٩٢٤ السنة التالية فجمع الوفد من تبرعات اخواننا اهل الحجاز اكثر من ١٣ الف دينار فيكون مجموع ما تبرع به الملك حسين وشعبه نحوا من ٣٩ الفا وما قدم المجلس الاسلامي الاعلى من اوقاف فلسطين وهو ١٦ الفا وبعض الكسور ، اكثر من ٥٤ الفا والباقي من البلدان المختلفة . جزى الله الجميع خيرا .

اما استمرار عمل الهيئة الهندسية فقد امتد الى ما يقرب من سنة ١٩٢٩ وفي هذه السنة ، وبعد اكتمال المشروع ، اقام رئيس المجلس الاسلامي الاعلى الحاج امين مهرجانا عظيما احتفاء بنجاز المشروع ، وشاركت في هذا المهرجان وفود مدعوة من مصر والعراق وسوريا والاردن وغير اقطار ، فكان المهرجان لائقا كل اللياقة بالقداسة التي ينعم بها المسجد الاقصى والحرم القدسي الشريف ، واستمر المهرجان اسبوعا .

وكانت خلاصة المشروع تطبيقا وتنفيذا ، مما هو مجلى عبقرية المهندس « كمال بك » ان الركائز والاعمدة التي تقوم عليها القبة سحبت حجرا حجرا وابدلت بسواها من جديد دون ان تتاثر القبة نفسها بشيء . وقد تم هذا وكان المندوب السامي هربرت صموئيل الصهيوني المتلبس جلد ثعلب تارة وجلد ذئب طورا ، ومدته من ١٩٢٠ ــ ١٩٢٥ كما ذكرنا هذا في الكلمتين السابقتين . قد جرى بين الحاج امين وهذا المندوب السامي الصهيوني امور ، وهنا الان لا بأس من ذكر واحدة تدل على خبثه

(٤) هذه اطول مدة لخليفة اموي من ١٣ خليفة .

(٥) مجموع هذه الوفود ستة في خلال ٣ سنوات وكان الحاج امين على راس وفدين : وفد مصر ووفد العراق والخليج العربي .

(٦) من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٤٨ قام بوظيفة ترجمان الحكومة اثنان : الاستاذ وديع شفتري ، والاستاذ ابراهيم كعيبني من رام الله . وكان كاتب هذه السطور مترجم سماحة المفتي من سنة ١٩٢٢ ــ ١٩٣٢ .

ومكره في باطنه ، واجراء العسل على لسانه في ظاهره ، نذكر هذا في هذا الموطن ، ونحن في الحديث عن عمـارة المسجد الاقصى قبل انهاء هذا الفصل :

قبل ان يرحل المندوب السامي عن فلسطين ١٩٢٥ لانتهاء مدته ، رجا من سماحة رئيس المجلس ان يـزور الحرم الشريف ليشاهد منجزات العمارة التـي سارت باخبارها الركبان . فلبى الحاج امين هذا الرجاء . وكانت العادة في المقابلات الرسمية بين المفتي والحكومة ، انه اذا كانت الحكومة هي طالبة الاجتماع ، فالمترجم بين المفتـي والحكومة مترجم الحكومة الرسمي ، واذا كان سماحتـه طالبا الاجتماع فالمترجم يرافق المفتي الى الاجتمـاع للترجمة . فلما عين الموعد لمجيء المندوب السامي ليـزور الحرم ، استقبله رئيس المجلس عند درج المجلس ، ودرج المجلس ازاءه بوابة كبرى منها الدخول الى ساحة الحرم . فبقي حرس المندوب السامي عند الدرج ، ودخل مـع المفتي الى ساحة الحرم يصحبه مرافق واحد ، والمترجم الاستاذ وديع شفتري (٦) من بيروت ، ولما توجها نحـو المسجد الاقصى كان الوقت قبيل الظهر ، والشمس تدخل المسجد من عشرات النوافذ والشبابيك فتملأه روعـة ، والقبة تلتمع وهي على الارض ، التماع الزهرة التي فـي السماء . وكنت امشي معهما بطريقة استطيع بها الترجمة وبقي الاستاذ شفتري بعيدا ، وانما اتى مع المندوب السامي من قبيـل الاحتياط .

فلما وقفا تحت القبة ، وجعل صموئيل يقلب بنظره مختلف المشاهد الجديدة ، وهي مدهشة حقا ، لا بـد ان يكون قد جال في تفكيره في تلك الثواني والدقائق ، ان هنا كان هيكل سليمان وقصره . وسبق لصموئيل مثل هذا الشعور مع الحاج امين في مقام « النبي شمويل » الذي هو على جبل عال شمال القدس ببضع كيلومترات ، ممـا سنذكره في مناسبة اخرى ان شاء الله .

واخذ صموئيل يورد على المفتي تحت القبة اسئلة مختلفة تتعلق بمشروع العمارة ، وهو يسأل هذا ويجزل الثناء على المفتي حتى سأل بالتالي : ومن يا صاحـب السماحة ، آخر خليفة من خلفاء المسلمين قام بعمارة في الحرم ؟ وكان المفتي رحمه الله عليما بكل شيء يتعلق بالحرم وغيره ، فاجابه ان آخر ملك قام بهذا سلطان المماليـك وهو قانصوه الغوري ، في آخر القـرن الخامسـ عشـر . فقال صموئيل وليس بينه وبين المفتي احد سواي اقف نوعا ما جانبا : « اني يا صاحب السماحة ، اكبر كل الاكبـار قيامكم بهذا المشروع الخطير الدقيق ، فضاهيتم بهمتكم هذه همم الخلفاء والملوك المسلمين » . وطبعا شكره المفتي على هذه العبارة ، وهو يعلم الخبيئة وراءها كل العلم ، واجابه ان الفضل في هذا فضل المتبرعين بالمال وفضل الفـن الهندسي الذي يمثله المهندس كمال بك .

اود ان اعلم القارىء الكريم ان لصموئيل هذا مواقف مع المفتي حرية بان تذكر ، ولا يصح ان اذكرها متفرقة ، ففي المناسبة التالية بعد هذه الكلمة ، احاول ايرادها ان شاء الله . واما عمارة الحرم في المسجد الاقصى فقد كـان من نتائجها ما اعتقد ان بوسعي ايجازه هكذا :

ـ نشرت شخصية الحاج امين في خارج فلسطين ، نشرا واسعا ، وهذا العمل مع مشروع دار الايتام الاسلامية وضعا في موضع الباني المصلح في فلسطين ، الى جـانب هيمنته الفعلية على الحركة الوطنية .

ـ انشاء العلاقات بين فلسطين والهند لخدمة القضية الفلسطينية ، بواسطة زعماء مسلمي الهند وعلى راسهـم اخوان علي (شوكت علي ومحمد علي وشعيب قرشي) .

وبهذا المشروع في عمارة الاقصى ازداد اهل فلسطين مسلمين ومسيحيين اعتزازا باماكنهم المقدسة التي يطمـع فيها اليهود . وفي اواخر الحرب الثانية اجريت في الحرم الشريف وفي المسجد الاقصى اصلاحات محدودة ، وكان الحاج امين في اوروبا . نقف الآن عند هذا وموعدنـا في الكلمة التالية ان شاء الله .

راس المتن ـ لبنان — عجاج نويهض

خماسيات شعرية

لا تلمه اذا تعالى على النـاس
وازرى ـ في جهله ـ بالعقول
حرمتـه الحيـاة فكرا سنيـا
فتبـاهى بسـاعد مفتـول
ليس تجديك مقلة تخرق الليل
اذا كنت ذا فـؤاد كليـل
يطرب الذئب للعـواء وتحلو
ترهـات الثقيـل عند الثقيل
ان بعـض الورى دواوين شعر
ليس فيها سـوى غلاف جميل

يـا رفاق الطريق لا مدح ارجو
كل مـا ارتجيه ان تنصفـوني
ان اكـن صالحـا فلا ترجموني
او اكن طالحا فـلا ترحمـوني
ما تكسبت بالقريـض فـانـي
اكره الشعر آلـة للمجون
كـل بيت سللته من ضميري
كـل حرف كتبتـه بجفـوني
ان شعري مرآة نفسي فان لم
تدركـوا غوره فلن تعرفـوني

بوانس ايرس — زكي قنصل

ام كلثوم في بغداد

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

كنت صغيرا يومذاك ، وكان لي ولع بزيارة بيت المرحوم خالي لمجاورته لدارنا ، وهو رحمة الله عليه ــ كان من اوائل من ادخل الحاكي الى داره . لما يتمتع به من مال ، وتجارة ، ورفاهية . وقد حرمنا نحن الصغار في دار والدنا من سماع ما يشبه الحاكي من الاغاني . لان طابع بيتنا يختلف عن غيره ، لما فيه من سمات الدين ، ومظاهر التقشف، وعدم الثراء . مع حب والدي ــ طيب الله ثراه ــ للصوت الجميل ، وتقديره للفن واصحابه .

وكنت اسمع الاسطوانات الصغيرة ، التي يرسلها ذلك الجهاز ، وهو يردد اغاني عبد الوهاب والقبانجي وام كلثوم ، ومن بينها اسطواناتها القديمة : « ان حالي في هواها عجب » « افديه ان حفظ الهوى او ضيعه » « وحقك انت المنى والطرب » . ولما كبرت بي الدنيا ، وكبرت بها ، وافاقت روحي على اجواء جديدة من الحياة . وانا بين مهاجر ومقيم . لم انفصل عن اغاني ام كلثوم ، ولم اهجر سماع غنائها الجميل . وبالاخص بعد ان جاءت افواج الاغاني الخفيفة ، وطفت بتيار امواجها . وظهرت طبقات مختلفة من محترفي الفن ، ومن مصطنعيه . وظللت اتعرف الى ذوقي الفني ، هل اصابه الفتور بحب غناء مطربة الشرق العربي ام كلثوم ام تغير هواه عنها ؟!

وكنت في الواقع ارى ان الحياة الفنية تبدلت واصابها التطور السريع ، وهرمت من المهارة والاناة . واخذت ارتقب سماع ما لديها من قصائد شعرية جديدة. من روائع :

سوقي ، حافظ ابراهيم ، احمد رامي ، احمد باكثير ، جورج جرداق ، عمر الخيام . ومختلفالمقطوعات التي نظمها القدامى من كبار شعراء العصور العربية الزاهرة .

وعندما صدرت مجلة « الصياد » في سنواتها الاولى اجرت استفتاء لقرائها ، وجعلت المفاضلة بين ام كلثوم واسمهان . وكتبت يومذاك مفضلا ام كلثوم ولست ناكرا جمال صوت اسمهان ورنة صوتها الحزين .

فقلت : ان ام كلثوم تطربنا اذا غنت .. وتشجينا اذا انت .

ان ام كلثوم غنت لشعراء مصر ، والسودان ، ولبنان والسعودية ، وحضرموت ، وليبيا . ولكنها مع الاسف لم تغن لشعراء من العراق . لاسباب كان يغلب عليها طابع السياسة المحلية ، والتصرف الشخصي . مع العلم ان العراقيين من اكثر الشعوب العربية بعد مصر ، ولبنان تقديرا لام كلثوم . والاشادة بفنها على مختلف الطبقات الشعبية . وعندما يسجل الباحث والدارس الشعر العربي المعاصر واثر الفنانين عليه ، يجد ان اكثر الشعراء تكريما لام كلثوم انما هم العراقيون ، واليك الدليل :

ففي اول زيارتها للعراق سنة ١٩٣٢ تبارى الشعراء الكبار في تكريمها ، وتصوير اعجابهم بفنها . ولست الان في معرض جميع ما نشر في الصحف والمجلات العراقية عنها في خلال تلك الزيارة ، ولكني سأعود اليه يوما بدراسة خاصة . غير اني الان استعرض ثلاثة كبار منهم .

اولهم : الشاعر المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي وقد اورد لنا الباحث الفاضل الاخ الاستاذ عبد الرزاق الهلالي بدراسته عنه قصيدته الرائعة عن ام كلثوم . ويغلب عليها طابع الاعجاب الفني والروح (الوفدي) السياسي . ومنها هذه المقتطفات الرائعة :

تطلعت الى الجو وقلبي دائم الخفق
فابصرتك في السرب وشاهدتك في الافق
فمن سواك كالطير فمن انت من الخلق
ام من عائلة البلبل ام من مجمع الورق

هنيئا لك بغداد فهذي (ام كلثوم)
من الفيد الاعاريب اتتنا لا من الروم
لقد احييت لياليك بتغريد وترنيم
فعذرا فرحة النفس اذا قصر تكريمي

اذا غنيت في الحب نغني باسم من اهوى
وان لج بك الشوق فبثيه مع النجوى
فما شكواك لليل ايصغي الليل للشكوى
لانت سلوة النفس وما احلى من السلوى

كما ان له قصيدة اخرى يخاطب بها المرحوم الدكتور الاستاذ زكي مبارك ويشير فيها الى ام كلثوم بقوله :

صريع الغواني لا تلمني فانني صريع اغاني (ام كلثوم) لا دعد
سلام على تلك الاغاريد انها اغاريد من وحي الصبابة والوجد

اما ثانيهم : فهو الشاعر الفيلسوف المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، وقد جعل من قصيدته مناجاة لفنها بين الجن والانس ، وبين الآلام والشجون ، والسياسة والشؤون وقال منها :

الفن روض انيق غير مسؤوم وانت بلبله يا (ام كلثوم)
لانت اقدر من غنى بقافية لحنا يرجعه من بعد ترنيم
اني اخاف افتتانا فيه مفتضحي فانما انا شيخ غير معصوم
لا تفزع الكاعب العذراء من كلمي فان نصل سهامي غير مسموم
اوعى (الفنغراف) اصواتا شدوت بها وسار يضرب اقليما باقليم
لمت شمل الاغاني بعد تفرقة لها فلم يبق شمل غير ملموم

لا يبلغ المرء من لذاته وطرا حتى يمتع منه السمع والبصرا
افرح بدنياك واشبع من مشاهدها فبعدها لا ترى شمسا ولا قمرا

يا حبذا الحسن يهدي زهره عبقا   وحبذا الحب تلقى ناره شررا
يا ام كلثوم غني فالغناء اذا   ذهبت عنا سيبقى علدنا اثرا

يا ام كلثوم احييت المنى فينا   من بعد يأس تألمنا به حينا
يا ام كلثوم انا امة رزحت   تحت المصائب احقابا فسلينا
يا نجمة في سماء الرافدين بدت   انا نحييك افواجا فحيينا
يا ام كلثوم حيينا مفردة   حي الملائك منا والشياطينا

غني وغني الى ان يظهر الفلق   ويذهب الليل كل الليل والغسق
يا ام كلثوم غنينا مسلمة   فاننا بعد ايام سنفترق
طلعت بعد انتظار كاد يقتلنا   ككوكب في سماء الفن يأتلق
غني لنا ثم غني اننا فئة   الى الغناء اذا ما طاب نستبق
ولنغتنم هذه الساعات سانحة   فانني بصفاء الدهر لا اثق
قالوا : الغناء غذاء الروح ينعشه   والحق فيما به في وصفه نطقوا
فكم تثقف في ناس به عوج   وكم تهذب في ناس به خلق

اما ثالثهم : فهو الشاعر المرحوم معروف الرصافي الذي كان معجبا بفن ام كلثوم ، ونظم قصيدة خاصة بعبقريتها وتأثير صوتها على السامعين ، ولم يكتف بذلك بل زارها في القاهرة واجتمع بها وضمتهما صورة فريدة جمعت بين سحر الغناء وعبقرية الشعر ،وقال منها :

ام كلثوم في فنون الاغاني   امة وحدها بهذا الزمان
ذاع من صوتها لها اليوم حيث   عم كل الامصار والبلدان
ما تغنت الا وقد سحرتنا   بافتنان لها واي افتنان
في الاغاني تمثل الحب تمثيلا   صريحا بصوتها الفنان
يتجلى في لحنها مشهد الحب   ولون الوصال والهجران
فتريك المحب عند التنائي   وتريك المحب عند التداني
وتريك الحبيب عند افتراق   وتريك الحبيب عند اقتران
كل هذا في صوتها يتجلى   من خلال الانغام والالحان

تنشد الشعر في الغناء فتأتي   بلحون مطابقات المعاني
حسن صوت يزينه حسن لحن   فيه للسامعين حسن بيان
في وقار الحليم تجعلنا طورا   وطورا في خفة النشوان
يشعر المرء حين يصغى اليها   بغرام من صوتها روحاني

ان امهات الصوت الجميل الساحر في الادب العربي قد لعبن دورا رائعا في رفع حركة الفنون الجميلة وفي الشعر خاصة . فلولا (دنانير) و (قمر) و (العجفاء) و (سلامة) (وبنات زرياب) و (علية وغيرهن ما استطعنا ان نقرأ هذه الروائع التي زخرت بها مجموعة كتب « الاغاني » و « العقد الفريد » و « عيون الاخبار » وقد درسها الباحثون ، وحللها الناقدون .

وحركة الفني الغنائي المنطلقة في تاريخ الادب العربي من بغداد وقرطبة واشبيلة وغرناطة والحجاز والمغرب العربي لتعطينا صورة من حب العربي للغناء ، لانه هو الشعر ، وهو الوتر ، وهو السحر ، وهو الالهام ..

وكانت المطربات المغنيات ، تمتاز نفوسهن بالرقة ، والذكاء ، والبداهة . وحفظ الشعر وارتجاله ، وسرد الطرائف ، وحسن التعبير ، وحلاوة الحديث .

ومن درس حياة ام كلثوم (١٨٨٩ ــ ١٩٧٥ م) لوجد ان هناك تشابها بينها وبين ربات الفن الغنائي في زاهي العصور العربية والاسلامية القديمة ، من حيث حسن النطق ، وسرعة النكة ، ووضوح العبارة ، وسحر الغناء ، وبديع الاختيار .

ولقد صدق من قال « الشعر جسم والغناء روحه» .

وذكروا : « الطير يسوقه للموت اصغاؤه الى حنين الصوت » ولا ننسى في هذه المناسبة الابيات الشعرية القديمة التي قالتها احدى القيان عندما بعدت عن ديار اهلها ، ومجمع شملها فغنت وقالت :

لما رايت القادسية حيث مجتمع الرفاق
وشممت من ارض (الحجاز) نسيم انفاس (العراق)
وايقنت لي ولمن احب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقاء كما بكيت من الفراق

ان شخصية ام كلثوم بالاضافة كونها فنانة شعبية ، لها نصيب كبير من حب الشعب لها ، وتقدير الجماهير لفنها ، لم تزل في قلوبهم وارواحهم . لما تتمتع به من صراحة وبساطة وروح مرحة . واعتقد ان فنها مهما تطورت الاغنية والقصيدة الشعرية ، سيبقى ذا نكهة ، وطابع متميز ، يضمن لها دنيا الخلود .

ومن تتبع سماع مسلسلة « النغم الخالد » عن حياتها ، بصوتها يشعر بروحها الشعبية الطيبة التي لا تضم الا الكفاح والصبر والمثابرة . والتواضع والصدق .

لها منا ــ رحمة الله عليها ــ دعاء المحبين ، وتقدير المعجبين . وكأني بشاعرها الاستاذ احمد رامي قد ناجاها بقوله :

رنة العود شدوها وصداها   حنة الناي او انين الكمان
خلقت آهة فكانت عزاء   من هموم الحياة والاحزان
وجرت دمعة فكانت شفاء   للمعنى ورحمة للعاني
وسرت انة فكانت غناء   يطلق الروح في سماء الاماني
تبعث الشجو في النفوس وتلقى   سحرها في القلوب والآذان

بغداد ــ كلية الآداب   محسن جمال الدين

زهرة

حاضره مات بلا كفن
اجفانه تحرقت ، ترمدت،
تفتحت قصيدة ،
كزهرة من وطن الشمس
فقام من ضريحه
يزيح عن جفونه
ستائر الامس

دمشق   صالح درويش

كنا ثلاثة من الاصدقاء جلوسا في مشرب « جروبي » نستمتع بجلستنا الاسبوعية العذبة عندما دارت بيننا جميعا احاديث شتى ، ومن خلالها طرق احدنا موضوعا عن ذكرياته العاطفية ..

واجتاحتنا جميعا موجة من الذكريات ، وقص كل منا قصته مصحوبة بضحكات وغمزات ، وتعليقات ساخرة ولاذعة من الاخرين .

واقبل على جلستنا صديقنا « يوسف » بابتسامته المعتادة ، وباناقته الفائقة ، رافعا يده اليمنى محييا الجميع ، معتذرا عن تأخره .

فصحت قائلا :

ـ اهلا تعال هنا بجانبي جئت في الوقت المناسب ..

فقال على الفور :

ـ خيرا .. سأمكث معكم لحظات فقط حيث انني مرتبط بموعد هام .. فعجلت قائلا ، وانا اتضاحك :

ـ موعد هام .. يا ترى موعد غرام ؟

فأجابني مبتسما :

ـ كلا ... و ..

فقاطعته قائلا :

ـ على اية حال كنا نتحدث قبل مجيئك عن ذكريات الصبا .. فقل لنا عما بقي لك في موكب الذكريات ، وعلى الاخص ما تدور حول حواء ..

واخذ يوسف يتكلم بعد ان استقر به المجلس على مقربة مني ، وقد انبسطت على اساريره ابتسامة :

ـ لم يعد لي من الذكريات الا موقفان ، فقد عبرت بحياتي فتاتان ثم اختفتا مع مرور الايام والليالي ، واصبحتا لحنين من الحان الذكرى .. فاليكم قصتي مع فتاتي الاولى :

« اشـواق »

لم تكد الشمس تغيب في ذلك اليوم حتى فكرت في ان اناديها او احدثها بعد ان تأكدت انها « اشواق » التي نشأت معها منذ صباي ، وترعرع الحب الصغير بين قلبينا الى ان بلغنا سن الشباب ، ورغم تأكدي كنت اتساءل :

(واذا كانت هي فاي شيطان دخل جسدها ، ورفع صدرها المتماسك خلال الفترة التي تركت فيها القرية؟! وعندما اصبحت قريبا منها ناديتها في شبه همس :

ـ اشواق ..

فالتفتت الى مصدر الصوت بكل كبرياء وهي تجلس القرفصاء وتملأ الجرة ، وفجاة وكانما تذكرتني انتصبت واقفة ، وقالت على الفور وقد لاحت على شفتيها ابتسامة عريضة :

ـ حمد الله عالسلامة .. شرفت البلد يا سي يوسف .



بقلم رستم كيلاني

ونظرت اليها نظرة طويلة ، اتأمل رداءها الاسود الذي يشد ما حوله من الجسد شدا ، ويكشف عما يحتويه من سحر ، والجمال الطبيعي الذي لا تعلوه المساحيق ، والعيون الصافية والخال الذي يتوسط خدها الايسر والاهداب الطويلة .

وسألتها ، وعيناي موصولتان بعينيها :

ـ فاكرة يا اشواق لما كنا بنلعب مع بعض واحنا صغيرين .

فهمست قائلة :



ـ كانت ايام حلوة ..

ثم اطرقت كانما تتذكر .. ومددت يدي الى ذقنها التي خط عليها وشم اخضر لارفع راسها ، فاذا بها تبتعد عني وهي تتلفت حولها ، وصاحت شبه مذعورة وهي تغطي وجهها بخمارها :

ـ لأ .. لأ ما تقربش مني ... ما تلمسنيش ..

وعقدت البغتة لساني .. وظللت في مكاني مشدوها ، بينما عجلت « اشواق » الى جرتها تحملها ، وانطلقت كالاعصار ، وشيعتها بنظراتي حتى توارت من امامي تماما .

مكثت بعض الوقت جالسا على حافة النهر ، ماخوذا بما حدث ، ثم قمت من جلستي بتثاقل ، سالكا السبيل الى داري ، وقد انتابني ضيق عنيف ..

وفي الطريق التقيت بـ « صابر » ذلك الشاب ، رفيق الصبا الذي طالما لعبت معه وانا صغير ، ولاحت من خلفه امراة تغطي انفها ، ونصف وجهها بخمارها ، وقلت له :

ـ انت معاك حد يا صابر ؟ ..

ـ ايوة دي مرتي .. اصلي اتجوزت من شهرين عقبالك .. تعالي يا بت سلمي على البيه .

وظهرت من خلفه « اشواق » وتقدمت مني وهي تمد يدها لمصافحتي وشخصت اليها ببصري مدهوشا ، وقلت :

ـ الف مبروك ..

ووقتئذ عرفت سبب جريانها .. لقد اخلصت « اشواق » لزوجها بقدر ما تستطيع ..

اما فتاتي الثانية والاخيرة فقد كانت :

« ليلى »

في امسية من الاماسي الصيفية كنت في طريقي الى عملي ، سائرا على قدمي ، فتوقفت فجاة حينما رايت شابة في غاية الاناقة ، تحتضن طفلة رضيعة على صدرها في رقة وحنان ،

وطلت من عيني فرحة ملأت نفسي ، ثم اقتربت منها ، وقلت من فوري :

– ليلى .. انني اكذب عيني ..

وحولت وجهها قليلا الى ناحيتي، فعرفتني ، ثم صاحت هاتفة في نشوة :

– من ؟ يوسف ليس معقولا ؟

وتصافحنا مصافحة حارة ، وسألتني باسمة :

– اين انت يا رجل .. من زمن لم ارك ؟

– في هذه الدنيا .. كيف حالك انت .. كنت متلهفا الى رؤياك منذ فترة طويلة ..

– نفس الشعور ..

كانت لم تزل جميلة ، وبدت لي كما رايتها اول مرة منذ تسعة اعوام صبية في الخامسة عشرة من عمرها ، ذات جمال هادىء ، وشعر كستنائي اللون ، وغمازتين ضاحكتين في وجنتيها تزيدانها جمالا ..

واستطردت قائلة :

– لقد تغير كثيرا ملامحك ..

– اظن يا « ليلى » سنة واحدة كفيلة بان تفعل في ملامحنا الشيء الكثير ، فما بالك تسعة اعوام او اكثر .. آه بالحق من تكون تلك الطفلة الجميلة ؟.

ونظرت الي مبتسمة تقول :

– اعجبتك ؟

– حقا انها لصورة مصغرة منك ..

– انها ابنتي الوحيدة « هبة » ..

– اتمزحين ؟

على الفور اندفعت قائلة في تأكيد وهي تضحك ضحكة رقيقة :

– ابدا .. اقسم لك بانها ابنتي ..

فبادرتها قائلا :

– ومتى تزوجت ؟

فأجابت :

– تزوجت من سنتين .. وانت تعرف زوجي حق المعرفة .. وصمتت هنيهة ، ثم استكملت حديثها تقول :

– سمير .. سمير عبد الغفار .. اتتذكره الذي كان جارنا في الوقت الذي كنا نسكن في حي الروضة ..

وسبح تفكيري ، وحملتني ذاكرتي الى الوراء لحظة .. وتذكرته كما تذكرت تلك الحادثة التي وقعت بيني وبينه يوم حاول التحرش بي ، انا و « ليلى » بينما كنا على سطح المنزل كالعادة ساعة الغروب نتبادل الاحاديث وتشاجرت معه ، وضربته ..

وبعد لحظات .. كان السطح يمتلىء ، باهله واهل ليلى ، واهلي ، وعندما سأل والد سمير ابنه عن السبب الذي دعا الى ضربه ، فتكلم امام الجميع بما يشين ، ونسب لي انني كنت اضم ليلى واقبلها مؤيدا قوله بما شاهده بنفسه مصادفة .

وكدت اضغط بيدي على عنقه ، لولا انشغالي بما حدث لـ ليلى . التي لم يكن بيني وبينها سوى صداقة بريئة ، فلم يلبث والدها ان انهال عليها سبا ، وشتما ، وضربا ..

وانقطعت ليلى عن لقائي بالسطح ، وحرمت من رؤيتها ، حتى نقلت مع اهلي من المنزل ومن الحي كله ..

وقلت في نفسي :

– صحيح كل شيء قسمة ونصيب ..

وفوجئت بـ ليلى تمد الي يدها باناملها الرفيعة ذات الاظافر اللامعة، فاحتوت كفي راحتها ، وظللت ممسكا بها ونظراتي مشدودة الى عينيها ، ثم مددت يدي الى الصغيرة وقبلت يدها ..

وافترقنا .. وكل منا يحمل ابتسامة رقيقة على شفتيه ..

القاهرة — رستم كيلاني

الورى

ما في ابن صدري للاحقاد متسع — الناس كلهم في قلبي اجتمعوا
كانهم فلذ منه اذا انفصلت — عنه حداه الى كهف الردى الفزع
اذا بكوا من مصاب حل انفسهم — راحت دموعي من الخفاق تندفع
وان شكوا وجعا تدمي اسنته — عدا على كبدي المقروحة الوجع
وان بليت برزء فادح جلل — منه نياط فؤادي كاد ينقطع
ويمموا مهجتي والبشر يغمرهم — نسيت رزئي وزال الحزن والهلع
وان هجوني جعلت الدهر في شغف — الى مديحي في الخلان يستمع
وان ناوا والصدود المر يحفزهم — راح ابن جنبي على اقدامهم يقع
ويطلب الوصل منهم وهو مبتهل — وفي سويدائه الامال تصطرع
يرخي الجفون ويستجدي حنانهم — وفي العروق يؤج الوجد والولع
اقصى امانيه منهم نظرة حفلت — بالود يمحى به من نفسي الجزع
وان رموني بنقد لاذع حسدا — عفوت عما بي الاحباب قد صنعوا
وان اسالوا دما يجري بحبهم — مسحت دمع فؤادي وهو ينصدع
وقلت يا رب صنهم من اذى وأسى — لانهم كلهم من مهجتي قطع

من لم يحب الورى هبت عواصفه — نكباء جذور النهى منهن تنخلع
ومن احبهم اخضرت مرابعه — وازهرت في مطاوي نفسه المتع
ولازمته طيوف السعد شادية — وبات بالامل البسام يلتفع

محمد العدناني

الغربة النفسية في ديوان جدران الصمت

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

***

كالحلم الخفي يخاطب الوجدان دون ان يأبه للعقل ابدا

وكاللحن الجميل يتحدث الى المشاعر قبل ان يتحدث الى الذهن والفكر .

كأفق السماء الممتد يروعك بجلاله ورموزه الصامتة الموحية دائما

ذلك هو شعر هذا الديوان الرمزي الذي يتشح بثياب الخفاء والغموض ، وان كانا هما عنصرا جماله وقوته ومنهما يستمد شعر الديوان اروع ظلاله وبلاغته .

وكما قال بودلير في أزهار الشر (١٨٢١ – ١٨٦٧) وهو يصف الجمال في ديوانه : « انني جميلة ، كحلم من الحجر ، وحضني الذي ادمى الجميع واحدا فواحدا قد خلق ليلهم الشاعر حبا خالدا ، واخرس كالمادة .. انني اكره الحركة التي تقلقل القسمات ، ولست اعرف البكاء ولا الضحك ابد الدهر ، ان الشعراء ليستفذون ايامهم في دراسات عقيمة امام مواقفي المهيبة ، التي تحاكي روائع الانصاب ، فان لي ، ولسحر هؤلاء العشاق الطائعين مرايا مجلوة تسكب الجمال على كل شيء ، عيوني الواسعة ذات الاصفاء الخالد » يقول الشاعر السعودي محمد العامر الرميح : « اكثر شيء يضايقني فضولي يسألني عن معنى شعري » – (صفحة ٢٢ الديوان) .

وكما يقول مالرميه (١٨٤٢ – ١٨٩٨ م) بعنوان « نسيم البحر » « الا تشعر بالقيود التي تكبل الشاعر وتضيق عليه تضييقا ، الا تشعر بالدواعي الخفية التي تهيب به الى الانطلاق ، وبالسحر الغريب الذي يجذبه اليه جذبا الا تشعر اخيرا بالاشفاق ، بالخوف ، باليأس الذي يثير بين جوانحه شعورا بهلاك قد يترقبه حتى من تلك المغاني السعيدة النائية ؟ » .

ويقول الشاعر الرميح (صفحة ١٩ من قصيدة «انا») :

احاول اهرب من نفسي
من قلقي
الى اي .. اي مكان
افتش عن درب يوصلني
عن سحابة تمطرني
في اي .. اي مكان
احاول ابحث عن اجنحة اركبها
تعبر بي الآفاق الى اي مكان في الدنيا
اي مكان
احاول ابحث عن انسان يحيا معي
يشاركني قلقي
اي انسان

انه محاولة كله ، كل الشعر ، كل الديوان ، للافصاح عن العواطف المكبوتة في اعماق النفس البشرية ، وايحاء صور من العقل الباطن من الشاعر الى القاريء ، مستعينا في ذلك بجرس الالفاظ وايقاع الوزن ، وتركيب الجمل ومعانيها الدقيقة . انه الغوص في اعماق الانسان ، ومعالجة الحياة الباطنية له ، لا على طريقة الكلاسيكيين الذين كانوا يبحثون في النفس ، معتمدين على العقل وحده ، بل ان اساس الفني عند شاعرنا الرميح هو التغلغل في طوايا العقل الباطن عن طريق المخيلة ، مع التوفيق بين المادة المحسوسة ، والفكرة المتخيلة .

ان شعر الديوان يقتضي التأمل العميق لفهم موضوعه وتذوق فنه ، والفناء في الفكرة التي صاغها الشاعر ، والهيام والاحتفاء بتجارب العقل الباطن ، والميل الى التجارب الموضوعية ، الموزعة بين الحلم واليقظة ، والنوم والوعي والارض والسماء ، والقاريء له لا بد من ان يبذل جهدا عظيما لتفهم معانيه ، واستكناه خفايا مضامينه ، حتى ليمكن القول بأن خلق القصيدة الحقيقي ، لا يتم الا بتلاقي فكر الشاعر وفكر القاريء وتفاهمهما معا ..

ولسوف تقف طويلا .. طويلا ، امام كل قصائد الديوان ، تستولي عليك الدهشة ، ويتخللك العجب والتأمل الكثير العميق ، وتقول بينك وبين نفسك : اواه انه لرائع وان هذا لجميل وانه لمثير لكد الذهن .. وليتني افهم او اعي شيئا .

الاصالة والموهبة والذكاء ، والعمق والتغلغل في ابعاد الابد والزمن واللانهاية .. كلها تضفي على الديوان ظلالا سحرية ، وتشعر وانت تقرؤه انك تدخل مدينة مسحورة ، كل شيء فيها مثير للاستغراب ، للحيرة ، للذهول للفكر ..

يقول الناشر في تصديره للديوان « في شعر الديوان عنفوان الاصالة والتفرد بالاتجاه العصري على اجنحة المذهب الرمزي .. وقصائده تشدد على اصالة موهبته كشاعر اصيل ، ذي عطاء رفيع المستوى ، استطاع ان يكيف تفاعلاته مع رمزية بودلير ورامبو وغيرهما ، ليخرج من هذه التفاعلات بشعر يتميز بطابع شخصي مستقل من حيث ابعاده ومن حيث طريقة سبكه لتجاربه الحسية والشعورية والانفعالية على صعيد التشبع الواعي المحيط بأعماق التجربة ، وعلى صعيد الاستيحاء من تيار حواره الذاتي الباطني » (صفحة ٧ الديوان) .

ونحن امام هذه الاصالة نشعر من بعيد بموسيقى خفية ، تناغي الاحلام ، وتناجي الذوق وتهز المشاعر .. فاذا التفت لم تجدها بين يديك ولكنها تعود كطيف سارب في الفضاء ، وكخيال سابح في السماء .

ووراء ذلك كله الجمال الجمال العميق ، الذي تحس به في ظاهرة التكرار ، التكرار للصفات ، للموصوفات ، لاي شيء، بعثا للجمال ، للغناء، للموسيقى الازلية الخالدة وبعثا كذلك لمشاعر القاريء وعواطفه وكل اعماق نفسه.

ولسوف نقرأ قصائد الشاعر في الوحدة والغربة النفسية ، وهي مجموعة قصائد الديوان الاولى : انا ـ المدينة المخيم عليها الصمت ـ اموت وحيدا ـ طوفان دوران ـ في صحراء عمري ـ في التيه كما تقرأ مجموعة قصائده الثانية الغزلية : غريب ـ مع الليل ـ نداء الحياة ـ بعد الفراق الخ ..او مجموعة قصائده الثالثة « ٦ رسائل الى حواء » او بكائياته على قبر امه وقبر أبيه.

فسوف تجد في كل ذلك الشعور العميق بالوحدة ، بالفراغ ، بالحزن ، بالشجى ، بالتطلع الى الاشراق الروحي بالتفاؤل مع ظاهرة التشاؤم ، بالحب ، بالامل ، بالحياة المتجددة فيمثل قصائده الوطنية : «الى المعترك» و «مواكب الابطال ».

الحزن يتشح في الديوان بالفرح ، والالم يتوكأ على عصا سحرية من الامل ، والغربة تمتزج في نفس الشاعر بصداقة الطبيعة والحياة وحب الجمال في كل شيء ، حتى في جرس اللفظ ، وتركيب الجمل ، وصياغة الفكرة ، والمعاني الدقيقة.

استمع الى الشاعر يقول من قصيدته « في صحراء عمري » (صفحة ٥٦ الديوان) :

اشعر بالدوار
اشعر ان العالم كله
كومة احجار
ومحرقة
تأكل النار فيها النار
ومقبرة
تتكدس فيها الاموات

ثم يقول منها : صحوت من موتي
اصبحت حيا
ما وجد تحولي شيئا
سمعت من داخلي صوتي
عرفت
اني صحوت من موتي

وقصيدته « غريب » (صفحة ٧٣ الديوان) تخالف كل قصائد الديوان ذات الموسيقى الحرة ، فهي من بحر السريع وفيها يقول :

يا ايها النافخ في نايه ... اروع الحان الهوى والجمال
لا يا اخي ، لا ، حسبنا ... انا سكارى من رحيق الخيال
فامض وغن للربى والتلال ... وللدجى حتى يبين الشفق
واملأ بانغامك كاس الليال ... واشفق على قلبي ان يحترق

وان كان منها بعض أسطر تخرج عن وزن السريع ، الا انها تمتاز بموسيقى حلوة متجددة الايقاع.

وماذا اقول عن هذا الديوان الذي شهد له قبلي نقاد كثيرون ، هزهم وأثارهم اثارة كاملة ان هذا الديوان بانغامه الحلوة الجميلة ليدعنا نتأمل مع الليل والنجوم والسماء والافق والصباح .. مظاهر الجمال بين الطبيعة الملهمة والشاعر الاصيل المتلقي والشعر المؤثر الجليل الملهم.

ا ناخي الرميح فيما كتبته عنه وعن شعره منذ نحو ربع قرن لا أجد اضافة جديدة عليه .. اكثر من ان اقول: انه يتألق ويصعد ويحلق دائما

انه يشعر بذاته ، ويشعرنا بشخصيته ويمنحنا كل تجاربه بقوة ، ويهبنا كل مشاعره النبيلة.. وهذه هي سمة الاصالة في شعر الشاعر ونفسه وعميق تجربته.

القاهرة **محمد عبد المنعم خفاجي**

حـوار

مع الجرح المفتوح منذ ربع قرن

★

قف لا تنزف في كل مسار..
أويمكن للجرح المفتوح ؟
ابدا بالصرخة في الافاق
اواه .. ايا صوتي المبحوح!..
لا ترحل في سطح الاشياء
فرحيلك كالعتب المسفوح
الدهشة تكمن في الاعماق
سافر خلف الجلد المقروح

ورايتك ترحل ذات نهار
والعالم يجري في عينيك
ونزيفك قد سكن الافاق
والوعد يلوح على شفتيك
وفلسطين .. العمر الماضي..
وتظل تسير على قدميك
وفلسطين .. العمر الاتي
والكون تنفس من رئتيك
وفلسطين .. الحلم الباقي
والعالم يركع بين يديك

والكون يضيق.. يضيق..يضيق
والجرح يفيض ويولد منه
نهار

دمشق **سلافة العامري**

الى القمر

مرحى ايا قمري الجميل   يا صفحة الخلد الاصيل
يا لوحة الغيب الموشى   منه بالنور الجليل
هذا ضياؤك من شعا   ع الله سلوى للملول
تهب الحياة لراغب   في الحب والفن الجميل
تهب السرور لمن عناه   الهم في ليل طويل
من شفه الحرمان يلقى   قرب نورك ما يزيل
كل الشجون غدا ستغدو   رقية القلب العليل
فابعث شعاعك هاديا   كم كنت للساري ، الدليل
وانشر ضياء الحب في   وطن يعاديه الدخيل
واكشف لنا عن سر دنيا   طالما تسبي العقول
وافتح رتاج ... علك   تستبين لنا الحلول
عما تعانيه النفوس   وروضها وافي الذبول
واسكب ضياءك في القلوب لعله يروي الغليل

افتحت بابك للدخيل   هلا دريت من النزيل
ضاقت بهم دنياهمو   فمضوا بواديك الجليل
ظنوا الطريق معبدا   وخيالهم نور ضئيل
دنيا .... عوالم   هيهات تدركها العقول
سر انتسابك للسما   تدريه ارواح تجول
قلبي ايا قمري الجميل   وما له ابدا مثيل
اتراه مثلك رائدا   وكلاكما نبع اصيل
ماذا يضيرك لو هديت   فؤاد من ضل السبيل
ان كان حبا زائفا   هيهات يطفئه القليل
اخشى عليك فضولهم   واذن فلم تجد البديل

اخشى عليك سباقهم   في ذلك التيه المهول
اخشى عليك نزاعهم   فتعود كالطفل الهزيل
قرب لتسمع من هنا   همسا يوشوش للدخيل
صوب سهامك من عل   لتطيح بالروح الثقيل
نور تبارك ربه   سيشيع في الدنيا النهول
انا في سمائك نجمة   هيهات يدركها الافول
انا من شعاعك لمحة   اضواؤها تهدي السبيل
هدهد فؤادي انني   سر على افق الاصيل
معناه في هذا الشعاع   ولحنه في كل جيل

عين شمس ـ مصر   جميلة العلايلي



نقـولا يوسف

فرح انطون

١٨٧٤ – ١٩٢٢

في الذكرى المئوية لمولده

بقلم نقولا يوسف

* * *

في يوم من عام ١٨٩٧ نزل بالاسكندرية قادما من لبنان ، شاب في الثالثة والعشرين من عمره ، عامر القلب بحب وطنه ، وباللهفة على تحرره وتقدمه ، ومسيرته في ركب الحضارة البشرية والنهضة العلمية .. خرج مع القافلة المهاجرة الى مصر والامريكتين ، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، املا في عيش اوفر امنا ويسرا .. وما لبث المتادبون من هؤلاء النزلاء بالاسكندرية من برزفي ميادين الادب والصحافة وكان منهم : صاحبا « الاهرام » سليم وبشاره تقلا ، وصاحبا « مصر » و« التجارة » اديب اسحق وسليم النقاش ، وصاحب « البصير » رشيد شميل ، ومنشئة « مجلة الفتاة » هند نوفل .. ومجلة « انيس الجليس » اسكندره خوري .. واسماء : خليل مطران ، وايليا ابو ماضي ، ونجيب الحداد ، وطانيوس عبده ، وعبده بدران ، وزينب فواز ، ووردة اليازجي .. كما لمع في القاهرة صاحب « المقتطف » يعقوب صروف ، ومؤسس « الهلال » جورجي زيدان ، ولبيبة هاشم ، وانطوان الجميل منشىء « الزهور » وداود بركات ... الى آخر ذلك الموكب الحافل من حملة المشاعل .

وولد هذا الكتى فرح انطون في طرابلس لبنان (١) عام ١٨٧٤ لابيه تاجر الاخشاب الذي رغب في تعليمه ليشركه في تجارته ، فالحقه منذ الصغر بمدرسة « بكفيا » وتخرج في السادسة عشرة من سنيه .. وكان على حظ من الذكاء فاجاد العربية والفرنسية ، وذا ميل الى الاطلاع فراح ينهل من الكتب والقصص في هاتين اللغتين ، وتأثر بأحرار الفكر وبالدعاة الى الاصلاح ، وبشعارات الثورة الفرنسية في وقت كانت بلاده العربية ترزح تحت وطأة الاستعمار والتخلف .. ثم اشتغل مع ابيه في التجارة فترة ، ولكنه تركها حين ندب لادارة مدرسة اهلية انشأتها جمعية خيرية في طرابلس ، وبها امضى بضع سنوات كان في اثنائها يكاتب بعض الصحف والمجلات ، ولا ينقطع عن المطالعات ..

وفي الاسكندرية بدأ اديبنا الشاب يشق طريقه ، وليس في جعبته غير قلمه ومبادئه .. وهو ليس بالغريب في هذه المدينة الكبرى بين الالوف من اخوته العرب ، وفي بيئة اشاعت فيها جالياتها الاجنبية جوا من الحرية في القول والحركة والانفتاح على العالم الخارجي .. وهو ليس من فرسان التجارة والمال ، ولكنه ما لبث ان وجد مجاله الذي مهدته من قبل طلائع الوافدين والمقيمين .. وكانت الاسكندرية فيما بين الربع الاخير من القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين ، سوقا للصحف والمجلات العربية من كل لون وشكل (٢) تظهر تباعا في مر السنين . وكان اقدم تلك الصحف واهمها – جريدة « الاهرام » التي اصدر عددها الاول الاخوان سليم وبشارة تقلا يوم ٥ اغسطس ١٨٧٦ – واتبعاها بعد شهر بملحق يومي سمياه « صدى الاهرام » – ولكنه عطل بعد سنتين من صدوره لنقده السلطات الحاكمة وانتصاره للفلاح المظلوم . فأخرجا ملحقين آخرين . ثم عاد « صدى الاهرام » عام ١٨٩٩ ليحل بالاسكندرية مكان « الاهرام » التي نقلت الى القاهرة عامذاك بعد ان اصبحت يومية منذ عام ١٨٨١ (٣) وفي هاتين الصحيفتين (الاهرام – وصدى الاهرام) نشر فرح انطون عددا من مقالاته بتوقيعات شتى ولفتت انظار قرائها ومنها « دائرة الحق » ..

ولدى نزول فرح انطون بالارض المصرية ، كانت الحركة الوطنية التحررية ، الرافضة للاحتلال البريطاني في اشدها يتزعمها مصطفى كامل (١٨٧٤ – ١٩٠٨) ورفاقه

---

(١) ورد في قاموس « المنجد » بيروت ط ١٩٥٦ ان مولد فرح انطون عام ١٨٦١ وفي باقي المراجع ١٨٧٤ .

(٢) يذكر فيليب طرازي في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » اسماء صحف الاسكندرية بين عامي ١٨٧٣ – ١٩٢٩ – ١٢٨ جريدة و ٨٠ مجلة .

(٣) قصة الاهرام في مقالة عن « سليم وبشارة تقلا » – مجلة الاديب مايو ١٩٦٩ لنقولا يوسف .

وكثيرا ما جاء هذا الزعيم الشاب الى الاسكندرية ليلقي خطبه المشهورة في مسارحها وبخاصة في اعوام ١٨٩٧ و١٩٠٢ – ويشهدها فرح انطون ويطلع على صحيفة «اللواء» التي كان يصدرها مصطفى كامل بالقاهرة منذ اوائل عام ١٩٠٠ – وقدر لفرح ان يحرر بها عام ١٩٠٩ ، مناصرا هذه الحركة القومية كما فعل خليل مطران وايليا ابو ماضي – ومتابعا نضاله بقلمه مع ثورة ١٩١٩ ومحررا في صحفها حتى وفاته ..

ثم راى اديبنا فرح انطون ان يصدر مجلة ادبية اجتماعية سماها « الجامعة » ظهر عددها الاول بالاسكندرية يوم ١٥ من مارس ١٨٩٩ ، وثابر على اخراجها ثلاث سنوات قبل ان ينقلها الى القاهرة والى اميركا ثم الى القاهرة ثانية فعاشت سبع سنين ، كانت خلالها مدرسة حديثة تثقف فيها الكثيرون ممن طالعوا بها روائع الادب المترجم عن كبار كتاب الشرق والغرب ، وتعرفوا على مشاهير الادباء والعلماء والفلاسفة ، وعلى آرائهم ومؤلفاتهم وما في هذه الاراء من جديد ، وما في تقارب الحضارات من تفجير للنهضات .. وكان مما كتب في « الجامعة » ابحاث عن فلسفة ابن رشد ، والامام عبده وفلسفة الصين ، وبوزا وكنفوشيوس ، وعمر الخيام ، وشريعة حمورابي .. وعن كانط وفلسفته ، وفلامريون الفلكي ، وبرتلو الكيماوي ، ونتشه وكتابه : « هكذا تكلم زردشت » ، ورينان وصلاته عند الاكروبول ، وراسكن وحب الطبيعة ، وتولستوي وروايته « البعث » ، وجول سيمون ، وشكسبير ، وبيكون وفكتور هوجو ، وكبلغ ، ومكسيم غوركي ... وكتب عن شوقي وحافظ ابراهيم وقاسم امين وعن اصلاح التربية والتعليم ، وتثقيف المراة ، وعن الحرية ، وفن التمثيل ، وفن القصة ، داعيا دائما الى الاصلاح والنهضة ، والتحرر الفكري والسياسي ..

ثم اخذ يعاون شقيقته الاديبة « روز انطون » على اصدار مجلة سنوية باسم « مجلة السيدات والبنات » – ظهر عددها الاول بالاسكندرية في اول ابريل ١٩٠٣ – ولكنها احتجبت بعد عامها الثاني لتصدر بالقاهرة عام ١٩٢١ في ثوب جديد ، وسميت « مجلة السيدات والرجال » وشارك في تحريرها نقولا الحداد – زوج السيدة روز انطون الحداد حتى توقفت عام ١٩٣٢ بعد جهاد مرير ..

وكان هذا الاديب العالم نقولا الحداد (١٨٧٢ – ١٩٥٤) – ابن قرية جون بجوار صيدا (٤) قد جاء الى مصر شابا يهوى الادب والصحافة ، وبدا العمل بصحف الاهرام والرائد والمؤيد وما لبث ان عاد الى بيروت حيث درس الصيدلية والكيمياء في جامعتها الاميركية ، وتخرج بعد اربع سنوات ، ثم رجع الى القاهرة ليكتب في الصحف ويترجم القصص ويؤلف الكتب العلمية ، وتآلف الاديبان فرح انطون ونقولا الحداد وكانا متقاربين في السن والتفكير وحب المعرفة ، وتزوج الحداد بشقيقة فرح انطون صاحبة مجلة «السيدات » .. واتفق الصديقان على الهجرة الى اميركا ورحلا معا حوالي عام ١٩٠٧ الى الولايات المتحدة الاميركية ، املا في رغد العيش ..

وكان المهجر الاميركي تجربة جديدة لفرح انطون لم تدم طويلا ولم تعد عليه بفائدة مادية ، وان كان قد خرج منها بدروس معنوية ، لقد حمل معه صحيفته العربية « الجامعة » وراح يصدرها هناك يومية واسبوعية وشهرية ، ولكنها تعرضت لازمات مالية عصفت بالصحيفة وصاحبها ، فرجع الى القاهرة بعد غيبة عام او نحوه ، ليتابع نشر « الجامعة » وليشتغل بالقلم .. ففي شرقي العربي السمح الصاعد ، الجدير بعرقه وكفاحه ، حقله الخصيب المترقب للري والغرس مخلفا وراءه عالما صاخبا آليا يقدس المادة وتستبد به فلسفات القوة وتنازع البقاء ، ولكنه عاد في الوقت نفسه ، ومثله زميله نقولا الحداد ، اكثر ايمانا بواجب المسير في موكب الحضارة الحديثة المؤسسة على العلم والصناعة والابتكار ، غير المنكرة للقيم الروحية في الانسان ..

اما نقولا الحداد فقد ظل وقتا يتاجر في السجاد ، ثم ترك تجارته وآب ايضا الى القاهرة لينشىء صيدليته بشبرا ، ويرعى اسرته وابناءه ، ويواصل الكتابة في الصحف والمجلات ، ويؤلف ويترجم ، ويراس فترة تحرير « المقتطف » حتى وفاته في ربيع ١٩٥٤ وكان قد سبقه فرح انطون الى عالم البقاء عام ١٩٢٢ عزبا لم يتزوج ، ولم يترك بعده من حطام الدنيا غير ثروته الادبية التي يبحث عنها اليوم ابناء الجيل الجديد ...

وشرع فرح انطون منذ عودته الى القاهرة يكتب في صحفها ومجلاتها المعاصرة له ، ويؤلف ويترجم المسرحيات لفرقها المشهورة .. وبدا بالتحرير في جريدة « اللواء » عام ١٩٠٩ وزامله عامذاك في تلك الجريدة الكاتب سلامه موسى وكان شابا معجبا بآراء فرح انطون ومن قراء مجلته « الجامعة » ، ولم ينس فضله واشاد بذكره في « المجلة الجديدة » التي كان يصدرها منذ الثلاثينيات . ويقول في كتابه : « تربية سلامه موسى » (٥) عام ١٩٤٧ «واتصلت صداقتي بفرح انطون حين شاركته في تحرير اللواء لفترة قصيرة . وكنا نقضي السهرة في احدى القهوات المطلة على ميدان الاوبرا .. وكان فرح مفكرا حرا بالمعنى الفرنسي لهذه العبارة . وكان حلبي الاصل ولذلك شق عليه اتخاذ اللهجة المصرية العامية . وكان انبساطيا مفراحا ...» ويقول « وقد ترك كل من جرجي زيدان

---

(٤) انظر « نقولا الحداد » – « الاديب » مايو ١٩٦٨ – لنقولا يوسف .

(٥) كتاب « تربية سلامه موسى » ط – ١ – ١٩٤٧ وط ٢ – ١٩٥٨ ص ٦٢ و ١٨٥ و ١٨٦

وفرح انطون اثره في النهضة المصرية فان الاول فتح ابواب الدراسة لتاريخ الاسلام والعرب ، وآدابهم وعقائدهم وحضاراتهم ، كما فتح الثاني ابواب الدراسة للنهضة الاوروبية ..» ويقول ايضا معلقا على ما ذكره له شاب عقب سماعه بحادث القنبلة الذرية انه احس كأنه يحتاج الى تربية جديدة كاملة يولد بها من جديد ، يتعلم معارف جديدة ، ويقف على كنه هذه القنبلة وعواقبها الحربية والمدنية « اني (والكلام هنا لسلامه موسى) في عام ١٩٠٨ احسست مثل هذا الوجدان ، وضاقت نفسي الى حد الانفجار . فقد وجدت في الادب الذي نقله الى العربية فرح انطون ، ومن نظرية التطور التي داب في شرحها يعقوب صروف في المقتطف ، اني ازاء رؤيا انا اعمى الا عن بصيص منها ، وان هناك آفاقا مغلقة يجب ان تكون هي واهتمامي في حياتي ان افتحها ... »

ثم حرر فرح انطون في صحيفة « مصر الفتاة »١٩١١ وفي « المحروسة »١٩١٣ وكتب مقالات في بعض المجلات، منها مقالة عن فلسفة نتشه بصحيفة «عكاظ» (فبراير ١٩١٤) حيث قدمها صاحبها بهذه العبارة : « فرح انطون هو واحد من المفكرين الذين يعدون على الاصابع في هذا البلد . هو صاحب «الجامعة» التي كان لها رأي يعتد به في الحركة الاجتماعية . هو اول من نقل ترجمة الفيلسوف فردريك نتشه الالماني الى العربية ، واول من بسط فلسفته ، واول من قارن بينها وبين فلسفة شوبنهور، واول من اختصر مبادئه من كتبه ... »

ثم عمل فرح انطون في تحرير جريدة « الاهالي » اليومية وكان يصدرها عبد القادر حمزه بالاسكندرية منذ عام ١٩١٠ ثم نقلها الى القاهرة عام ١٩٢١ والحركة الوطنية في اوجها ، وتعرضت مرارا للتعطيل، وتركها حمزة الى جريدة « المحروسة » فعطلتها الحكومة فاستأجر صحيفة «الافكار» حتى يناير عام ١٩٢٣ حين اصدر « البلاغ » وكان فرح انطون قد انتقل الى رحمة الله ..) وكان هذا الصحفي الوطني الكبير عبد القادر حمزه ، يلقى دائما في شخص فرح انطون وقلمه، المعاونة والنزاهة والاخلاص ..

وفي تحرير « الاهالي » بالاسكندرية تزامل المرحوم عباس محمود العقاد ، وفرح انطون ، وتصادقا ، وكتب العقاد بجريدة « البلاغ » عن فرح عقب وفاته مقالة تفيض بالوفاء والتقدير لهذا الكاتب الفقيد (٦) وقدمها بوصفه في اواخر حياته « .. كان كثيرا ما يرى في هذه العاصمة غاديا او رائحا في خطوة وئيدة وعزلة بعيدة ، كانما يسري من حيث لا يعلم الناس الى حيث لا يعلمون ، ذاهب الطرف اني سار .. غير مشغول بأمر الطريق . على وجهه سماحة تظلله سحابة من اسف شجي ولوعة مخامرة .وفي عينيه حيرة فرت من فرط القلق ، فعادت في راي العين طمأنينة راضية . وعلى شفتيه صمت مصر كظيم ... »

ثم يقول :

« وفرح انطون كسائر الكتاب الذين يستوحون قلوبهم ، ويقطرون على القرطاس من دمائهم ، مفكر تؤثر في تفكيره عوامل الحياة ، وتنبت في نفسه الوان الجو الادبي الذي يحيط به .. والذي قراته من كتبه ناطق بحياة صاحبه يدل على انه من وحي ذهن لا تمر به مذاهب الفكر الشائعة في زمانه عبثا ، ولا تتعارض حوله تيارات الحياة بغير جدوى . ولعل اصوب ما يقال في كتاباته انها خير دليل على اتجاه تيار الفكر في ايامه ، وخاصة في نشأته الاولى اي في عهد الصبا المتفتح للدنيا ، المقبل على كل جديد ، الذي قل ان يوصد بابه في وجه طارق من طوارق الافكار الجميلة ، او يضن بموضع في نفسه على ضيوف الاحلام اللاعبة والخواطر الوسيمة ... »

وعندما توفي فرح انطون بالقاهرة في الثالث من يوليه ١٩٢٢ بعد ذلك الجهد الذي اضناه ، افتقده مريدوه وشعروا بالفراغ الذي خلفه بعده ، وكتب بعضهم عن حياته وعن آثاره في فترات متباعدة .. ثم نسيه الناس كعادتهم، واحتجبت آثاره عن انظارهم .. ورأينا عقب وفاته كتابا صادرا من مدينة سان باولو في البرازيل عام ١٩٢٢ بعنوان: « بواعث الشجون في رثاء فرح انطون »، وافردت مجلة « السيدات والرجال » بالقاهرة ، لصاحبتها شقيقته « روز انطون » وقرينها نقولا الحداد ، عددا خاصا عنه في سبتمبر ١٩٢٣ ونشر اديب بالقاهرة المرحوم ابو الخضر منسي كتيبا عنه عامئذ .. ثم رثاه عباس محمود العقاد بمقالته السالفة الذكر في « البلاغ » عام ١٩٢٤ ومما قال: « مضى ثمانية اشهر على احتجاب ذلك الطيف ، واحتباس حركته ، فكان مغيبه في نفوس المحبين والعارفين رزءا فادحا والما بارحا ، ونزعة شديدة وشقة بعيدة . وكان في تصور الخيال خطوة واحدة كخطوة الطيف الهائم جعلته لواغط الاصوات ، فادى الى ظلمته الساكنة ... »

وكان مما كتب سلامه موسى نداء نشره « بالمجلة الجديدة» في يونيه ١٩٣٧ جاء فيه « في الشهر القادم يكون قد مضى على وفاة فرح انطون خمسة عشر عاما ويحسن برجال الادب الذين يعرفون فضل هذا الاديب العظيم في النهضة الحاضرة ، ان يحتفلوا به فان في الاحتفال تنويها بالوان التجديد التي قام بها في توجيه الادب الحديث ، واعترافا بفضله على التفكير المصري. ونحن لا نعرف اديبا ممن يؤبه بهم في مصر لم يتأثر باحسن التأثيرات من فرح انطون . وكثير من النزعات الحسنة في

(٦) جريدة « البلاغ » بالقاهرة ٥ مارس ١٩٢٤ وفي « المطالعات» للعقاد - ١٩٢٤ ص ٦١ - ٦٦ - وكتابه : « رجال عرفتهم » ١٩٦٣ ص ٩٩ .

(٧) المجلة الجديدة - بالقاهرة - لصاحبها سلامه موسى - عددا يونيه ويوليه ١٩٣٧ - السنة السادسة .

ادبنا يعود اليه . وقد كان دابنا في كل فرصة ان نعترف بفضله ، ولذلك نحن ننتهز الفرصة الحاضرة لتنبيه الوجدان الادبي في مصر الى ضرورة الاحتفال بمرور خمسة عشر عاما على وفاته . »

ثم عاد سلامه موسى فقال في العدد التالي من مجلته « كتبنا في العدد الماضي ندعو الى الاحتفال بذكرى فرح انطون لمرور خمسة عشر عاما على وفاته ، وعندنا ان احسن ما نسجل به هذا الاحتفال ان نطبع مؤلفاته جميعها ، ومعظمها الان قد نفدت طبعاته باستثناء رواياته عن الثورة الفرنسية . فان الجيل الناشىء يكاد يجهل اسم فرح انطون ، وهو ينتفع كثيرا اذا طبعت له مؤلفاته، وقدمت له لدرسها والاستمتاع بآراء هذا الكتاب الكبير »

واغلب الظن انه لم يحتفل بذكراه منذ وفاته ، ولم يطبع شيء قديم من مؤلفاته ، ولم يجمع ما تشتت من مقالاته ، وان كان قد نشر عنه بعض المقالات والدراسات خلال تلك السنين ، فكتب عنه اسعد حسني مقالة بالمجلة الجديدة (يوليه ١٩٣٧) يقول فيها : « كان فرح انطون من اوائل من دعا الى الاراء الحرة في الشرق العربي وفي طليعة من نبهوا الى الديموقراطية بين الناطقين بالضاد .. كان يتحمس في دعوته للحرية ويراها حقا مقدسا من حقوق الشعوب والامم . فلما راى الشرق تتناهبه المطامع الاستعمارية البشعة ، دعا اقطاره الى التضافر وتكوين جبهة متحدة مترامية للوقوف في وجه هذه المطامع على ان تتسلح بالقوة .. كان اديبا ذا ضمير حي . لم يكن من الذين يكتبون للمتاجرة او السعي وراء الشهرة او الجري وراء المغانم . بل كان رقيق الشعور ، كثير الاحساس بآلام المجتمع . ولذلك فقد ظل طيلة حياته انسانا كامل الانسانية في معاملته للناس ، بارا بهم .. » (٧) .

ثم نشر في بيروت عام ١٩٥٠ كتاب عن « فرح انطون ـ حياته وادبه ـ ومقتطفات من آثاره » تقديم الاديب بطرس البستاني .. وفي الستينات تجددت ذكرى فرح انطون في البحثين اللذين كتبهما الناقد الباحث المرحوم مارون عبود في مؤلفيه : « جدد وقدماء » ١٩٦٣ و «رواد النهضة الحديثة » ١٩٦٦ ـ ورجع فيهما الى ما كتب فرح وما كتب عنه ، وحلل فيهما آراءه وافكاره ، ولخص الكثير من قصصه ومؤلفاته وكان مما قال : (٨)

« فرح انطون اديب اجتماعي قبل كل شيء ، في مجلته ومقالاته ، وقصصه ومسرحياته . هو رسول الديموقراطية في الشرق العربي ، نشر تراجم الرجال، شرقيين وغربيين ، ليجعلها امثولة للشرق . وكثيرا ماكان يذكر مزايا الحيوان ليبكت اخاه الانسان .. وان ذكر خبر علميا فليعجب بالعقل البشري ويتفاءل .. كاتب ثوري وعملي بروح رومانتيكية فالتربية والمدرسة حديثه الدائم منذ مولد (الجامعة) حتى موتها .. كل ما خط قلم فرح انطون يتفق وروحه . بل قل لم يكتب كلمة تخالف عقيدته وروحه الحية .. عشق المثل الاعلى عشقا جنونيا ، وحاول اصلاح الانسانية بعنف ، فصار نصحه تحاملا ، وتوبيخه صراعا .. انه يحب التغلغل في احشاء الماضي مفتشا عن الكمال الضائع بين الامس واليوم .. انه في اتجاهه الدائم الى اصلاح المجتمع وبخاصة في الشرق ، لا يهادن الاستعمار المسيطر على البلاد ولا الطبقات المستغلة للفقير ، فيكشف سياسة الطبقات التي تمضي في تواطئها مع الانجليز في مصر ، ويندد بالاقطاعيين ـ فانهم لايعرفون غير مصالحهم ، لقد نسوا منذ زمن بعيد ماذا تعني الحرية ... »

كذلك تناول الدكتور محمد يوسف نجم عددا من روايات فرح انطون ومسرحياته بالنقد والتحليل والتلخيص في كتابيه الصادرين ببيروت في الستينات « القصة في الادب العربي الحديث » و « المسرحية في الادب العربي الحديث » وفي رايه ان فرح انطون « لا يسوق القصص لغاية فنية او لتسلية عابرة فحسب ، بل لبث افكاره الخاصة ، وليعلم القراء ويعظهم ، ويمحضهم النصح ..

ويمكن تقسيم آثار فرح انطون الى ثلاثة اتجاهات الاول : الابحاث الفلسفية والعلمية والاجتماعية والتربوية، ومنها كتابه عن « فلسفة ابن رشد » ومقالاته عن فلسفة الصين ، وعن نيتشه وترجمة معظم كتابه « زرادشت » وعن كانط ورينان وتولستوي ، وترجمته لكتاب رينان عن تاريخ المسيح ، وسائر مقالاته في مجلته « الجامعة » وغيرها من المجلات والصحف ، في الموضوعات الفلسفية والتعليمية والدعوة الى الاصلاح الاجتماعي بعامة ، وللتعريف بآداب الامم وآثار مفكريها .

والثاني : الرواية الموضوعة والمترجمة ، ومن الاولى ـ المؤلفة ـ روايته التي نشرها عام ١٨٩٩ مسلسلة بمجلة « الجامعة » وسماها : « الحب حتى الموت » واتخذ من احدى قرى لبنان مسرحا لها ، ومن اهلها ابطالا لقصته ومنهم شابان لبنانيان يتهيآن للهجرة الى اميركا ، وفيها يشيد بامانة المراة المحصنة ويدعو الى الفضائل الانسانية.

ثم نشر عام ١٩٠٣ رواية بعنوان : « الدين والعلم والمال » مسلسلة ايضا بمجلة « الجامعة » اقرب الى البحث الاجتماعي الحاشد بالخطب والحوار منها الى القصة الفنية المألوفة ، وعرض فيها المؤلف آراءه في الدين والعلم والمال ، وفي العمل والعمال ، محاولا تصوير المجتمع المثالي او المدينة الفاضلة على نمط كتاب « الطوبيات » (يوتوبيا) وكما يقول فرح في مقدمتها : « .. وقد سميناها هنا رواية على سبيل التساهل ، لانها عبارة عن بحث فلسفي اجتماعي في خلائق المال والعلم والدين . وهو ما يسمونه في اوروبا المسألة الاجتماعية ، وهي عندهم في

(٨) مارون عبود : كتاب « جدد وقدماء » بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٦٣ ص ٢٥ ـ ٧٨ ـ وكتاب « رواد النهضة الحديثة » ـ بيروت ١٩٦٦ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٣ .

المنزلة الاولى من الاهمية ، لان مدنيتهم متوقفة عليها ..» ويقول : « ان الفكر والعمل اساس التقدم والحضارة .. بالفكر والعمل يقوم تاريخ الانسانية .. »

ثم نشر فرح انطون قصة اخرى سماها : « الوحش الوحش ، الوحش » وتدور حوادثها في بعض مدن لبنان ، ويتمثل في اشخاصها مختلف الخلق والطباع ، وما يعتمل في نفوسها من حب وبغض ، وقوة وضعف ، وكرم وغدر ... وكعادته يستطرد خلال السرد القصصي الى نقد البدع والنقائص ، والى الحديث عن الحب والمحبين ،وعن مرض السل ، وعن آراء العلماء في الطب والتاريخ والاقتصاد والتحليل النفسي ، والى وصف الاماكن والبلاد .. ومع ذلك ففي القصة كثير من عناصر التشويق وارتباط الحوادث ، وبخاصة فيما جرى بين التاجر الطبيب « متى حاروم » وصديقه التاجر الغادر « لوقا طمعون »مما ادى الى افلاس الاول ومحاولة ابنته الانتحار ، ثم ما يلاقيه الغادر من مصير محتوم على يد حبيب الفتاة ، وكانت قد هجرته لفقره الى اميركا وتزوجت غيره فاصيب بالجنون .. (١٠)

وفي عام ١٩٠٤ ــ اصدر فرح انطون روايته ذات الطابع التاريخي : « اورشليم الجديدة ــ او فتح العرب بيت المقدس » وتعد اشهر قصصه واكثرها فنية .. وتجري حوادثها في فلسطين ايام الدولة الرومانيةالشرقية، عندما زحف العرب الى بلاد الشام وانتقل عمر بن الخطاب ليتسلم مفاتيح القدس من بطريقها .. ولم يقصد المؤلف أن تكون قصته تاريخا دقيقا للفتح المعروف ، فضمنها عددا من الشخصيات الخيالية التي يتحدث المؤلف بالسنتها في الوعظ والارشاد ، وعرض مبادئه وآراءه في القضايا الاجتماعية والسياسية والمذهبية ، وفي الاخلاق والحب.. وان كان قد تطرق ايضا الى بعض الزوايا التاريخية، فوصف احوال تلك البلاد قبل الفتح العربي ، والاسباب السياسية والاجتماعية التي اضعفت الامبراطورية الرومانية ، وادت الى سقوطها .

وقد ادلى بعض الكتاب بآرائهم في هذه الرواية منذ ظهورها ــ فنشر يعقوب صروف في المقتطف (ابريل ١٩٠٤) النقد التالي : « رواية تاريخية فلسفية اجتماعية ..حسنة الوضع منسجمة العبارة . ويظهر لنا مما طالعناه ان كثيرا من حوادثها التاريخية منقول من الواقدي . لكن كتاب الواقدي نفسه رواية تاريخية . فحبذا لو محص المؤلف ما نقله عنه ففرق بين الحوادث التاريخية والقصص الموضوعة . وفي الرواية كثير من النصائح والحكم والاقوال الفلسفية ، يشف بعضها عن لوم صاحبها اللوم الذي يجاهر به المرء اذا انحرفت صحته من كثرة الشغل ، وتملكته السوداء ولو برهة يسيرة . او اذا راى الشرور والمفاسد وابت عليه نفسه الابية ان يغض الطرف عنها ..»

بينما يكتب عباس العقاد (البلاغ ١٩٢٤) : « كان فرح انطون كاتبا على استعداد للرواية والقصص ، وكانت ملكته القاصة تظهر احيانا في مقالاته الادبية والسياسية كما تظهر في رواياته وحكاياته . فمال به هذا الاستعداد الى وضع الروايات ، فاحسن وارتفع في رواية اورشليم الجديدة » .

ثم يقول عنها مارون عبود :«اما خطة القصة فيديرها فرح كقائد محتل يعرف كيف يربح المركة الفاصلة ... اما اذا عثر بحجارة القضايا الاجتماعية فيقف ويطيل الشروح ، ويثير ابحاثا عنيفة بين ابطاله ، تكاد تملها لولا اسلوبه الحي واندفاع قلمه المحموم ، وعاطفته المتقدة الصادرة عن قلب مقروح . فاذا كنت تقرا لتتسلى فعليك بغير فرح .. تأخذ المؤلف نوبة الوعظ ولكنه وعظ حار غير مملول . ولا عجب ففرح قصصي عالج المسائل العظمى كتولستوي وغيره .. »

وشرع فرح في وضع رواية سماها : « مريم المجدلية » او مريم قبل التوبة ... ولكنه توفي قبل ان يتمها وكان يستوحي فيها مذهب نتشه في دعوته الى القوة ..

والى جانب هذه القصص الموضوعة ، ترجم فرح انطون عددا من الروايات الفرنسية المشهورة ، فعرب عن ديماس روايتي : « الثورة الفرنسية » و « ذات الورد » وعن برناردين سان بيير روايتي « الكوخ الهندي » و«بول وفرجيني » وعن شاتوبريان رواية « اتالا » ..

واسهم فرح انطون منذ مطالع القرن العشرين في الحركة المسرحية العربية بوضع المسرحيات الاجتماعية الهادفة ، وبترجمة عدد من التمثيليات الاوروبيةوالاقتباس منها ، وتمصير بعضها ، ومنها ما لحن واخرج على شكل « الاوبريت » .

ومما الف من المسرحيات « صلاح الدين ومملكة اورشليم » ابرز فيها البطولة العربية في فترة حاسمة من تاريخ العرب وهي فترة الحروب الصليبية وتخيل عددا من الشخصيات غير التاريخية لتمثل الفضائل العربية في صراعها مع الغزاة ، وقد مثل جورج ابيض وفرقته هذه المسرحية بدار الاوبرا بالقاهرة عام ١٩١٤ ولقيت نجاحا .

ووضع مسرحية اجتماعية سماها « بنات الشوارع وبنات الخدور » تتخللها صور شعبية من النوع الاستعراضي ومثلتها ايضا فرقة جورج ابيض بدار الاوبرا عام ١٩١٣ ، وفي العام نفسه قامت هذه الفرقة بتمثيل مسرحيته « مصر الجديدة ومصر القديمة » التي اقتبس موضوعها عن قصة لاميل زولا ، ثم مصرها ــ اي اتخذ صورها واسماء اشخاصها من الحياة المصرية المعاصرة له ــ ويلخصها فرح في مقالة (نشرها في صحيفة « الجريدة » ٥ من ابريل ١٩١٣) بانها في الحقيقة اربع روايات (مناظر) متداخلة بعضهافي بعض ، وينظمها سلك واحد الاولى

---

(٩) محمد يوسف نجم : كتاب « القصة في الادب العربي الحديث» ط ــ ٣ ــ بيروت ١٩٦٩ ص ٩٣ ــ١٠٠ ــ و « المسرحية في الادب العربي»

(١٠) لخص مارون عبود في كتابيه السابقين بعض هذه الروايات في ايجاز .

تدور حول « فؤاد بك » الذي يمثل قوة الارادة والنشاط والعمل وصيانة النفس والعيلة ، والثانية عن ابنة العيلة التي سقطت لغلو اخلاقها في طلب الحرية ، والثالثة تدور حول صاحب كازينو في مصر وما به من لهو وقمار وسكر ورقص ، والرابعة عن جماعة من الوارثين وما كانوا عليه وما صاروا اليه بسبب التبذير والطيش .. ثم يقول : « فهي بهذا لون اجتماعي جديد يعالج مشاكل العصر باسلوب واقعي حقيقي ... وتعد وثيقة هامة في تصوير قطاع من الحياة الاجتماعية التي سارت في الربع الاول من هذا القرن في بلادنا » .

وفي الوقت نفسه كان فرح انطون يعرب المسرحيات الاوربية المشهورة لتمثلها الفرق العربية الكبرى في عصره.. وفي عام ١٩٠٤ قدم مسرحيتين عربهما عن اسكندر دوماس الكبير هما :«البرج الهائل» و « ابن الشعر »ومثلتهما فرقتا جورج ابيض واسكندر فرح ومعه سلامه حجازي ... وترجم « اوديب الملك » لسفوكليز ترجمة كاملة ومثلت بدار الاوبرا بالقاهرة .. وعرب مسرحية « الساحرة » لساردو وقام ببطولتها جورج ابيض .. ثم مصر رواية « زازا » لاميل زولا وادخل فيها مشاهد مصرية وشعبية ولوحات استعراضية كتخت الغناء وصاحبة الودع وبائع الجرائد وما اشبه من وسائل اجتذاب الجماهير للفرق المتنافسة .. (١١)

فتحت وطأة الظروف المادية ومطالب العيش وبخاصة في سنوات الحرب العالمية الاولى ، مما لا تجدي معه الاعمال الادبية الجادة بل حرفة الكتابة بعامة ، ثم ما حدث من ظروف اخرى فصلت بين فرح انطون وجورج ابيض في عامي ١٩١٦ - ١٩١٧ ، استجاب فرح انطون لنداء الفرق الغنائية الاستعراضية وعلى راسها فرقة المطربة منيرة المهدية ، فقدم لها المترجمات والمقتبسات من الاوبرات الاوربية والمسرحيات الغنائية ، ورصعها بالاغاني العربية التي وضع الحانها كامل الخلعي وكان منها « كارمن » التي قدمتها فرقة منيرة المهدية القاهرة عام ١٩١٧ واوبرا « تاييس » عن قصة اناتول فرانس - في العام نفسه - و « اوبريت اونا »لحنها ايضا كامل الخلعي ومثلتها فرقة منيرة ثم « الشيخ وبنات الكهرباء » و « كلام في سرك » و « كارمينيا » « كارمنينا » و « روزينا » للفرقة ذاتها .

وكان لانسياق فرح انطون في تلك الفترة الى ترجمة واقتباس مثل هذه المسرحيات الغنائية المشهورة وتحوير الحانها ارضاء لاذواق الجماهير والفرق وهو القدير على التاليف والابتكار ، وصاحب الآراء التجديدية في اغراض الادب وواجبات الكاتب ، ما عرضه لنقد الناقدين ، وان كان قد برر بعضهم عمله هذا بشتى المبررات (١٢) وكان اول ما اخذوه عليه انه لم يأخذ نفسه هنا بالاراء التجديدية التي دعا اليها .

ولقد داب فرح انطون على نشر رايه ومذهبه في كتابة البحث والقصة والمسرح ، ومن ذلك مقالته بمجلة « الجامعة » - يونيه ١٩٠٣ بعنوان : « الكاتب الشرقي وحاجاته الجديدة » ومما جاء بها « لكل عصر حاجات .. والعصر قد تغير من حسن الحظ ، ولم يعد المقصود من الادب وصناعته مدح العظماء ، بل صار يقصد به امر اسمى من هذا بكثير . ويزيد بذلك تكوين الامم ، وتكبير نفوسها ، وانما من ضعفائها ، وترقية شؤونها . ومتى ثبت ان اول اغراض الادب والعلم ترقية الامم وانما من الشعوب ترتب علينا ان نعلم حاجات الكاتب الشرقي الجديدة في هذا العصر .. واول حاجات الكاتب حرية الفكر والنشر ، فانه متى كان الكاتب يكتب بحرية واستقلال فكر ، فانه يكون صادقا منصفا عادلا ..ويشترط في ذلك ان تكون الحرية مطلقة في اقواله لا ان يتكلم بحرية في هذا الموضوع لان الحرية فيه موافقة لمصلحته ،ويداهن ويصانع في ذاك لان الحرية فيه مخالفة لمصلحته ، وثانيها ان وظيفة الكاتب هي ان يقول الحق وينطق بالصدق لكن يشترط عليه ان يترك دائما للقارىء الحكم في المسائل التي يبسطها لان القارىء قلما يحب ان يضغط عليه ليقنعه .. لا تضع آراءك في منزلة الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد مسه ... والحاجة الثالثة ان يحب الكاتب صناعته ويطلبها لذاتها .. لا ان يجعل عمله قسرا ويرغم طبيعته به .. والرابعة تضلعه في المواضيع التي يكتب فيها ... وهناك الافكار والالفاظ التي يعبر بها عنها ... واذا ساعدت الاحوال المعارف الشرقية فانها ستنتقل من طور الاتباع الى طور الابتداع ،وحينئذ ينبغ في«الشرق المبتكرون والمخترعون ، ولا نعود نرى المعارف الشرقية نسخة من المعارف الاوربية .. »

ثم يقول فرح : « .. هنا مذهبان مختلفان يتنازعان الكتاب في كل امة تقريبا الاول مذهب الذين يعتمدون على قواعد السلف واقوالهم في الكتابة والتأليف فلا يخرجون عنها قيد اصبع ، والثاني مذهب الذين يحكمون عقولهم وافهامهم في جميع شؤونهم ويكرهون التقليد اذا لم يكن في محله ، ويرومون ان يكتبوا كما يشعرون ، ومهما صرخ انصار المذهب الاول ، فان مذهبهم آخذ في الانقراض. فالافكار الافكار . المعاني المعاني . هذا هو الفرض الحقيقي من الكتابة ، لان الالفاظ ليست سوى لباس للمعاني ولا ننسى ان وظيفة الكاتب الكتابة للامة لا لنفسه ، ولا لطبقة واحدة من طبقات الامة . وان حسن التأثير شرطها الاول ، والفائدة العمومية اساسها الحقيقي » .

وكتب مقالة اخرى عن فن التمثيل في مصر والشام في عصره) قال في اوله : يصح ان يعتبر فن التمثيل

(١١) مجلة « المسرح » بالقاهرة - عدد نوفمبر ١٩٦٧ - « فرح انطون والمسرح الاجتماعي » مقالة لمحمد كمال الدين .

(١٢) انظر نقد محمد تيمور في كتابه « حياتنا التمثيلية »١٩٢٢ - ص ٨٦ - ومحمد مندور في كتابه : « المسرح النثري » - ١٩٥٩ ص ٥١ .

حديث جديد عن حب قديم

★

يقول سلكت الدربوعراالىالهوى ... متى كان دربالحب سهلا ومعشبا
فتحت لها قلبي وارخصت دمعه ... فاصبحت في شرع الحبيبة مذنبا
عجيب هوى صب يجالد وحده ... ويؤلمها الا يكون معذبا
ويؤلمها الا تراني شاحبا ... والا ترى جفني قريحا مخضبا
والا تراني جاثيا متضرعا ... والا تراني ذاهلا متعجبا
وترتاح اذ ينهار جسمي خائرا ... ويصبح قلبي فاقد العزم متعبا
كتمت هواها فاقتربت من الردى ... وبحت فكان الموت ادنى واقربا
وهل يملك العشاق صبرا وحكمة ... وحكمتهم ان يصبح البوح مطلبا
يموت شهيد الوجد في خنق لفظة ... ارادت له عيشا ولكنه ابى
تضرعت ان تهدي الي تحية ... والا تريني ، بعد ، وجها مقطبا
وقلت : اعتقيني من هواك برحمة ... لاحيا كطير يرشف الطل في الربى
سارضى.. سارضى بالاخاء فكلمي ... اخاك الذي فيحلبةالحب قد كبا
فلم ترض الا بالجفاء مروعا ... وبالصمت قتالا وبالصد ماربا
اردت لها عمرا يفيض سعادة ... فاوقدت فيها الحب ، لكنه خبا
ابت ان تلبي للحياة نداءها ... وان تمنح الحظ السعيد الىالصبا
تملكها طيش العناد وقادها ... الى الياس، فيليل الكهولة، واختبا

اخلدها بالشعر ، وهي تضنه ... سيزري بها ان ذاع يوما واطربا
ولو عرفت ما الشعر صلتوكبرت ... اذا جاءها شعري رقيقا مهذبا
فمن كان في شرع المحبة ظالما ؟ ... ومن كانفي شرع السماوات مذنبا؟

بغداد ... حارث طه الراوي

مقياسا لتمدن الامة ودليلا على ادبها ــ والعناصر التي يتألف منها هذا الفن هو سواد الامة . وهذه العناصر ثلاثة : الجمهور والكتاب والفرق التمثيلية .. وهو يرى ان الجمهور المتردد على المسرح ما زال رومانتيكيا . فالكتاب لا تزال اقلامهم « حصرما » لم تنضج بعد . والعقلاء منهم يترجمون اذ يعلمون انهم لا يستطيعون التأليف .. وهو لا يعرف لهم عذرا في مسألتين الاولى : اختيار مواضيع الروايات وجعلها مما يكون جامعا بين اللذة والفائدة والثانية : تنزيه الروايات عن السموم التي تتنافى مع الآداب العامة ، فالجمهور يقبل على هذه الروايات دون ان يعلم شيئا عن خطرها ..

وفي حديثه عن الروايات والقصص يستبعد تلك التي تكون للتسلية .. ان مذهب « الجامعة » ومبادئها في رواياتها هي الروايات الاجتماعية فلها الوظيفة العليا ... ويرى ان تأليف الروايات التاريخية التي تتناولتاريخ امم الشرق يوقفنا على تاريخنا ومع ذلك فهو لا يرى وظيفة سامية لهذا النوع من الروايات طالما تكون مزيجا من الحوادث المخترعة والحوادث التاريخية وفي هذا افساد للتاريخ ومجاراة لمن يشاهدها في الاغلب من العوام .

الاسكندرية ... **نقولايوسف**

كان الباص يسير على الطريق العام في بطء سير سجين مكبل ، فقد غادر المدينة ممتلئا بالركاب . وفي اثناء الطريق التقط ركابا اخرين فغص بركابه حتى كاد يتوقف ثقلا كما تتوقف سفينة هاجمتها رياح البحر .

وكان بين الركاب رجلان جلسا على مقعد واحد من المقاعد الخلفية . وكانا يتحدثان عن المرض والاطباء . احدهما شيخ قوي السعال ، والاخر شاب يكتنز في جسمه قوة ونشاطا وحيوية .

وكان بين الركاب رجل وزوجته جلسا امام ذينك الرجلين ، وكانا يتحدثان عن اهل الزوجة المقيمين في المدينة التي توجه الباص اليها .

وعلى احد المقاعد المحاذية جلس شابان في مقتبل العمر يتحدثان عن الحب والنساء . وكانا يطلقان ضحكات طائشة من حين الى اخر . وبذلك وضعا حدا لابتساماتهما الهادئة التي كانت تطفو على شفاهما في اثناء الحديث .

وكان السائق من الثرثارين المعروفين . ولعل الثرثرة لا تروقه الا وهو يسوق باصه في خلال اسفار طوال . وقد جلس وراءه مساعده . وكان يصغي الى السائق وهويحادثه في شوق واعجاب ، فقد طرب لنكاته وانطلاق لسانه وسلاسة الفاظه ، لاحظ بعض الركاب ان السائق شغل عن قيادة السيارة بمحادثة مساعده والالتفات اليه ، وقد هم احدهم بان يلفت نظر السائق الى ذلك لكي يوجه اهتمامه الى قيادة الباص وسلامة الركاب ، ولكنه خجل ان يفعل ذلك خشية ان تصيب عاطفته كلمةجارحة من كلمات السائق الجريء الصفيق الوجه .

وبطء الباص خلق فرصة للركاب للتمتع بالمناظر الطبيعية الممتدة على جانبي الطريق والمؤلفة من الكروم الخضر التي طرزت بها ارض حمراء التربة ، ومن اشجار المشمش التي مضت بضعة اشهر على قطف ثمارها واحتفظت باوراقها تروحعلى اغصانها المتعطلة من حمرة الاثمار الشهية الحلوة ، ومن اشجار الزيتون ذوات الخضرة المظلمة التي تقف في رزانة وكبرياء على رؤوس الجبال . وعلى الرغم من خلو الاراضي والجبال من الجداول والعيون فقد بدت رائعة المناظر خلابة الجو .

والباص وان كان قد استعمل منذ بضع سنوات وحال لونه وتضعضعت بعض اجزائه وتلف غطاء محركه وتمزق عدد من وجوه مقاعده ، غير انه يبدو شيئا ثمينا في الاراضي التي يسير فيها لقلة الباصات التي تمر فيها .



بقلم عبد الحميد الانشاصي

وبينما كان الباص يشق طريقه بين تلك المناظر اذ اقترب من بلدة تقع على مقربة من طريقه . وقدوقفت بجانب الطريق شابة حسناء مزهرة بوجهها المتفتح الجمال وبقوامها الشبيه بساق زنبقة بيضاء . ولم تكد الشابة ترى الباص حتى اشارت اليه فتوقف . ودخلت الفتاة الباص وعيناها تبحثان عن مقعد تجلس عليه بين ذلك العدد المتراص من الركاب ، وقد صوبت اليها الانظار وحاصرتها من كل ناحية . وتلك الانظار وان ارتد بعضها عنها غير ان بعضها ما زال منجذبا اليها في صمتوارتياح، ولكن احدا من الركاب الرجال لم ينهض عن مقعده ويدعوها الى الجلوس في مكانه . واخيرا صوبت نظرة طويلة من عينيها الواسعتين المكحولتين الى شاب انيق اللباس جذاب الشكل فوجد نفسه يقف ويدعوها في ابتسامة خفيفة وكلمات رقيقة مهذبة الى الجلوس في مكانه من المقعد . فكافأته الشابة الحسناء بابتسامة مشرقة زادت وجهها جمالا، وبهزة خفيفة شاكرة من راسها الصغير المتوج بشعر غزير .وجلست على المقعد في ارتياح وسرور .



ثم واصل الباص سيره ، ولم يكد يبتعد عن البلدة بضعة كيلومترات حتى اعترضت طريقه قرية صغيرة. وقد وقفت بجانب الطريق فلاحة . ولما دنا الباص منها اشارت بيدها الى السائق فتوقف الباص . والقى السائق نظرة وراءه ليتأكد من وجود مكان للفلاحة ثم قال لها :

ـ لا مكان في الباص ، خير لك ان تنتظري الباص القادم فانك لاشك واجدة فيه متسعا .

ولكن الفلاحة لم تكترث لكلامه اذ قالت :

ـ ان الباص القادم لا يأتي الا بعد ساعة تقريبا . وفي ذلك اضاعة للوقت وتأخير عن الوصول الى وجهتي .

فلم يجد السائق بدا من ان يدخلها الباص تاركا لها تدبير امرها في شأن الجلوس . اجالت الفلاحة بصرها بين الركاب باحثة عن مقعد لها ، فايقنت بعد ذلك ان الباص يحملاكثر من طاقته . وظلت واقفة تسرح نظرات الاستعطاف في وجوهالجلوس من الركاب الرجال . ولكن احدا منهم لم ينهض من مكانه لتجلس المراة . فألقت الفلاحة نظرة ساخطة على الركاب .

(اصوات من الداخل : هل جردت قلوبكم من النخوة ؟ اليس بينكم رجل

واحد ذو نخوة ينهض عن مقعده ويسمح لي بالجلوس في مكانه ؟ انه ليس من المروءة ان ابقى واقفة بين الرجال) .

(منظر في الداخل : تصوب نظرا غاضبا الى راس رجل قريب منها ادار وجهه عنها لئلا تلتقي عيناه عينيها فتأخذه الشفقة عليها . وانتظرت ريثما التفت ذلك الرجل اليها ، فتقدمت اليه وقالت له بنغمة صارمة غليظة : قم ! انك شاب ومع ذلك فانت تهرب بنظراتك مني ، انني اولى منك بالجلوس على المقعد لانني امراة وانت رجل) .

مضى ربع ساعة والركاب ملازمون مقاعدهم والفلاحة واقفة في الباص ، فشعرت بامتعاض وباحتقار يغشى قلبها الساخط وكادت تذوب غما .

وكان بين الركاب شابان انيقان يوهم مظهرهما انهما في سعة من العيش وعلى جانب من الثقافة ، فقد كان احدهما مرتديا بدلة على الطراز الحديث براقة القماش ضيقة . ونبت من جيب معطفه العلوي منديل مطرز صفت امامه ثلاثة اقلام حبر احدهما طلي بما يشبه الذهب البراق . وحمل انفه نظارة من البلاستيك عريضة الذراعين . غير ان راسه كان قليل الشعر اذ احاطت شعرات سود متباعدة بصحراء صلعته اللامعة ، اما الاخر فقد كان في اوائل شبابه . بدلته رخيصة الثمن ولكن تفصيلها جذاب . وشعره غزير ، وقد سدل على صدغيه وعنقه بشكل وحشي دلالة على انه من الخنافس . ولكنه كان يتحدث بنغمة مهذبة رقيقة .

(الشاب الاول متكبر شرير كثيرا ما اعتدى على الناس بالصفع واللكم والسباب وهو مرتد بدلة العمل القذرة في كراجه ، وان كان مظهره الان ينم على انه استاذ في مدرسة محترمة . والشاب الثاني مشهور بمغامراته الغرامية مع الفتيات الصغيرات ، غير انه دمث الاخلاق حلو المعشر) .

وكان الشابان يتحادثان من قبل حديثا جديا يقاطعه الصمت من حين الى اخر . ولكنهما لم يلبثا ان خاضا حديثا هزليا بعد ان دخلت الفلاحة الباص ووقفت فيه ، اذ قال الشاب الثاني واسمه بسام للشاب الاول :

ـ لو كانت الفلاحة امراة متمدنة لنهض احد الركاب من مكانه لتجلس عليه . (اننا نعتبر الفلاحين نوعا اخر من البشر) .

فقال له الشاب الاول واسمه حافظ :

لا تنس ان الفلاحين كانوا من قبل يقطعون مسافات طوالا من الطريق



عبد الحميد الانشاصي

●

مشيا على الاقدام . وكان الرجل منهم يمتطي حماره ومن خلفه زوجته تسير وراء الحمار حافية القدمين وعلى رأسها مقطف مملوء بحاجات اشترتها من المدينة . فان كان الفلاح نفسه يحتقر زوجته فكيف يحترمها الرجل المتمدن ؟.

فضحك بسام ضحكة طليقة ثم قال :

ـ صحيح ؟ هل كان الفلاحون في تلك الحال من التخلف ؟

(انني لا اصدق ما قلته لي) .

فنظر حافظ اليه من مؤخر عينيه في ابتسام ممزوج برزانة تدل على الخبرة بشؤون الحياة وقال :

ـ انك شاب صغير السن لم تختبر من الحياة الا القليل . لقد رايت ذات يوم فلاحة تأكل لقمة من رغيف اسمر مع لقمة من خبز ابيض على اعتبار ان الخبز الابيض كالجبن فهو يشبهه لونا ويمتاز على الخبز الاسود بمذاقه الطيب . فهل رايت امراة في العالم اشد حماقة من تلك الفلاحة ؟

(مهما ارتقى الفلاح فانه يظل ملتصقا باصله) .

فقهقه بسام قهقهة طفل ساذج اغرت حافظا بالضحك معه . ثم قال الاول :

ـ هذا من اغرب ما سمعت في حياتي . امجنونة تلك المراة ام مقتصدة ؟ (ان ما تقوله نكتة مبتكرة وليس امرا واقعيا) .

ثم قال حافظ بعد هنيهة من الصمت :

ـ ان الفلاح يختلف عنا في كل شيء : في ملبسه وطعامه ومسكنه . نحن نعيش في القرن العشرين ، والفلاح يعيش في القرن الخامس عشر . ارتدينا البدلة ، وهو ما زال يرتدي القنباز ، معطفنا الطويل نلبسه في فصل الشتاء فقط ، وهو يرتدي عباءته شتاء وصيفا . حسرنا الطربوش عن رؤوسنا ، وابى هو ان يحسر الحطة عن راسه . اننا نأكل انواعا مختلفة من الطعام نجعل اخرها الحلوى والفاكهة . اما الفلاح فطعامه بصل او صعتر بلا حلوى او فاكهة . يبيع الفواكه في اسواق المدينة ويحرم نفسه شيئا منها . اما الطبيخ الذي يتناوله ـ وقلما يتناول طبيخا فان نفس الرجل المتمدن تشمئزمنه . لا نكهة له ولا لذة .

فاستغرق بسام في الضحك حتى اهتزت كتفاه . اما حافظ فكان يطلق من فمه ضحكات مكتومة متقطعة في

معلمي

★

معلمي، لا تسل منذ، ومن يكن ... معلمي الكن يمشي على وهــن
على يديه اقتبست العلم من صغري ... بلا جزاء ولا شـكر ولا منــن
اخـذت عن زمني درسا غنيت به ... عن فلسفات بلا معنـى ولا ثمن
من فـاته عالم ، فالدهر مدرسة ... ليس المعلم في دنياك كـالزمن
آمنـت بالدهر استاذا ومدرسـة ... ما خطـه الدهر ، لا ما خط بالقلم

بوانس ايرس ـ الارجنتين ... عبد اللطيف الخشن

شيء من الرزانة والتمالك . وقـد شجعه ضحك بسام وسروره على مواصلة الحديث عن الفلاحين فقال :

ـ قال لي احد اصدقائي مرة وهو صاحب سيارة خاصة كنت قـد اصلحتها له منذ عهد قريب : انقرى الاجانب تعد قطعا من المدينة فيها ماء نظيف وكهرباء وابنية صحية جميلة ، لذلك يشعر سكانها من الفلاحين انهم لا يختلفون عن المتمدنين الا في شيء واحد وهو حرث الارض وفلاحتها . اما القرية عندنا فهي ليست قطعة من المدينة . انها مجموعة من المساكن يقيم فيها نوع اخر من البشـر يختلفون عنا في كل شيء .

كان حافظ يتكلم وبسام مصـغ اليه في تفكير . لم يضحك هـذه المرة ، ولم يقابل كلام صاحبـه بالصمت بل قال له في رزانة :

ـ هذا شأن الفلاح فيما مضى . لقد تقدم الفلاح في هذه الايام واصبح خيرا مما كان عليه من قبل ، وابتنى منازل جديدة على بعضها على الطـراز الحديث . وهو الان يستعمـل المحركات في استخراج المياه وتوزيعها على المنازل . وبعض القرى القريبةمن المدن استمدت الكهرباء منها . وهناك قرى يستعمل اهلها محركاتلتوليد الكهرباء وايصالها الى البيوت . ان الفلاحين وقراهم في تقدم مستمـر كسكان المدن .

(انك متحامل على الفلاحين ما في ذلك ريب . ولست ادري لذلك سببا وقد تكون حادثة مؤلمة قد وقعت لك مع بعضهم فكرهتهم لهذا السبب . ان الفلاحين بشر مثلنا ولا يحق لك ان تتكبر عليهم وتحتقرهم) .

فشعر حافظ بصدمة موجهة من جليسه اذ كان يتوقع ان يضحك بسام مما حدثه به كما ضحك من قبل . غير انه ما زال مصرا على رأيه ، وابى ان ينقاد لراي شاب في ريعان الشباب وقال :

ـ انظر الى تلك الفلاحة الا يشعر ركاب الباص بنفور من الركوب معها ؟

(انك ما تزال خاما في هـذه الحياة) .

ـ ولم ينفر الركاب منها ؟

ـ الم تفهم ما قلته لك من قبل ؟

(يبدو لي انك بليد الذهن) .

جرى ذلك الحديث والفلاحـة تنصت لحافظ ، وكانت من حين الى اخر تصوب نظرها اليه ، ولكن هذا لم يكترث لها ، وراح يقدح فـي الفلاحين ويذم القرى .

وقد لاحظ بسام ان الفلاحة قـد تغيرت ملامح وجهها اذ انقبضت تقاطيعه ، وقطبت في تألم . ولعلها شعرت لضعف ناجم عن تألمها مـن موقفها المخزي ، فجلست على ارض الباص تعبة . شعرت انها فقـدت سحر انوثتها التي تمكنها من التأثير في الرجال وانها اضحت امراة مهملة لا وزن لها . كانت افكارها توسوس اليها في صمت : « انك حقيـرة . انك مظلومة . لا احد يكترث لـك . انت المراة الوحيدة التي لا مكان لهـا على مقاعد الباص . »

ادرك بسام ما يجول فـي خلد تلك المراة من الافكار المنغصة ،وشعر انها نبذت واهملت ، والقى اللـوم على الرجال الذين يجلسون علـى المقاعد في راحة واسترخاء متجاهلين وجودها معهم .

لقد رثى لتلك المراة ولكنه فـي الوقت نفسه اعجب بها لانها آثرت ان تجلس على ارض الباص مع الاحتفاظ بكرامتها وعزة نفسها على ان ترجـو احد الركاب من الرجال ان ينهض عن مقعده لها . جلست على ارض الباص في تجلد وصمت دون ان تفوه بكلمة تنفس بها عما تشعر به من خـزي والم .

تحملت حرمانها الجلوس على احد المقاعد في صبر ، وتحملت ايضا مـا سمعته من ذلك الرجل الثقيل الظل ـ حافظ ـ من التهكم بها والسخرية منها . لا شك انها شعرت ان الرجال لم يكتفوا بابعادها عن المقاعد بـل راحوا ينتقدونها وينتقدون الفلاحين بلا ذوق ولا احترام .

نفر بسام من الانتقاد القاسيالذي صبه حافظ على الفلاحين . ذلـك الانتقـاد الـذي جـادت به قريحته الحاقدة دون ان يأتي الفلاحون اليـه سوءا كان انتقادا للتسلية لا للتوجيه والاصلاح ، لذلك اعتبره اجـوف تافها .

وهذا ما حدا بساما على ان ينهض من مكانه منتصبا في نخوة قائـلا للفلاحة :

ـ تعالي الى هنا يا اختيواجلسي في مكاني .

عمان ... عبد الحميد الانشاصي

شروق ...

رايتك في بهيم الليل حلما ... وانوارا وانساما ونعمى
وكنت اراقص الاحزان وحدي ... واكرع اكؤسا اترعن هما
واصرخ حين يخنقني سكوتي ... واخمد ساكنا من بعد غما
واذ يحلو البكاء اروح ابكي ... واضحك اذ يكون الدمع دما
مهازل خطها في الرمل وهمي ... فخطتني على الايام وهما
واطياف سرقن ربيع عمري ... ولم انبس باين ، ولم ، وعما
وقلت تجيء ، سوف يجيء حتى ... سطعت منائرا ، والليل اعمى
فهل اشرقت من قمم احتراقي ... وهل روحي سكنت وعشت قدما

بكاء ...

سابكي على نفسي ، وليس بكائيا ... بشاف غليلي ، لا ولا الدمع راويا
قطعت قفار الليل ظمآن طاويا ... وما كان ليل ، غير اني بدا ليا
ورقصت في ساح الضياء قصائدي ... وما كان ضوء ، بل حرقت بناريا
فكيف اذا ست وعشرون حجة ... مضين ولما يستبن لي نهاريا
وكيف اذا ما ايقظ الموت غفلتي ... وحملت يوم الحشر وزر كتابيا
أأمضي شباب العمر في حماة الهوى ... واطمع في جنات خلد بواقيا
لعمري ، ضلال ما اؤمل في غدي ... اذا لم يكن عفو الاله ردائيا

الدعي ...

لواذا بركن قصي قصي ... لواذا ، فلست بذاك الابي
اذا ما دهتك صروف الليالي ... واخنت عليك بعزم جلي
دعوت قوافيك غيدا تهادى ... على نغم ساحر عبقري
وصلت بقارورة عطر شهي ... وسيف رقيق الشباخشبي
فاضحكت ، حتى جموع الثكالى ... وابكيت ، حتى فؤاد الخلي
فهل تستطيع لذلك قهرا ... اذا ما آتيت بشعر وضي
وهل تستطيع لحقك ردا ... اذا ما بكيت بدمع سخي
لعمري سالتك امرا حبيبا ... الى نفس كل دعي دني
فكف صراخك عني وهيا ... لواذا لواذا بركن قصي

عمان ـ الاردن

ابراهيم بن خليل العجلوني



فاجعة مايرلنغ

مسرحية شعرية – تاليف عدنان مردم بك – ١٢٠ صفحة – منشورات عويدات ببيروت – مطبعة القيم ببطحاء كسروان لبنان

المسرحية الشعرية اذا عالجت موضوعا تاريخيا ، وخاصة منها ما يسمى بالنقد الحديث المسرحية الشعرية التاريخية تحتمل ان تكون ماساوية ، اي تراجيكية تتقيد الى حد كبير باصول تاليف المأساة ، التراجيديا القديمة ، كما تحتمل ايضا ان تكون مؤثرة او مفجعة ، اي ميلودرامية ، فتصير الى نوع الميلودرامة ..

هذه التفرقة بين الماساوي التراجيكي ، والميلودرامي ، وايضا الدرامي حتى يومنا هذا غير واضحة في ما كتبه المؤلفون النقاد عن طلائع مسرحنا الشعري العربي احمد شوقي ، وعزيز اباظة ، وعدنان مردم بك .. وكنت عملت بالفعل من زاوية نفسية ، وفنية على ان اظهر اقباسا منها ، خاصة ان معظم نتاج هؤلاء الرواد حتى الان من النوع التاريخي الصريح (١) .

مثل ذلك اننا نستطيع ان نقول في – مصرع كليوباترة – لاحمد شوقي ، او في – الناصر – لعزيز اباظه ، انهما ماساويتان رغم انهما تحملان سمات ميلودرامية ، من وقائع ان كلا منهما ، على اختلاف تقنية كل من صاحبيهما ، تظهر العنصر الماساوي في صراعات الابطال ازاء اقدار رهيبة تسيرها ، في حين – العباسة – و – مصرع غرناطة – لعدنان مردم بك اذا كانتا تنمان عن هذه الماساوية ، فمسرحية – رابعة العدوية – ، او الحلاج – ، او – فلسطين الثائرة – تصير الى الدرامة التصويرية ، او ايضا الميلودرامة التحليلية وتنم عن غلبة الوقائع القائمة للابطال ، وهكذا دواليك ..

ان مسرح عدنان مردم بك الى الان من النوع التاريخي ، وهو بين ماساوي صريح ، وبين درامي ، وميلودرامي يحمل طابع الماساة .. وان مسرحية – فاجعة مايرلنغ – له ، والتي صدرت مؤخرا مثال على هذه الماساوية التي تصير الى الميلودرامة ..

وتفسير ذلك في الموضوع ، وتقنية العرض ، وان موضوعات عدنان مردم بك ، رغم انها من التاريخ ، الا انها متنوعة ، ويشترط شاعرنا الكبير فيها وحدة الموضوع .. ثم انه بفعل حرصه على تصوير الشخصيات ضمن اطر الموضوع الواحد ، او الموحد يميل العمل المسرحي الى الماساوية ، او الميلودرامية ..

والحال في هذه المسرحية الشعرية الجديدة – فاجعة مايرلنغ – هو كذلك ، انها من التاريخ الحديث ، وموضوعها في الاساس هو انتحار الامير رودولف بن قيصر النمسا عام ١٩٠٨ ، ولكنها لا تقص قصة هذا الانتحار بقدر ما تعرض مواقف الامير من الحياة حتى يصبو الى الانتحار ، ومن هنا صارت الى تصوير لصراع مع الحظ ، ومزجت الماساوية بالميلودرامة ، والحس التاريخي بالحس الانساني ..

واذا سرنا مع المؤلف في تمثله لموضوعه ، او في تقنيته لعرضه له ، نجده في مقدمة الكتاب يذكر : اردت في مسرحية مايرلنغ ان ابكي الشباب الذاوي في مطامحه العالية ، وفي مباذله التافهة ، وان اصف احاسيس الشباب المتناقضة من غيرية مثالية الى اثرة هي غاية في الانانية (٢) .

وبالفعل المسرحية تتجه لتوها الى ان تلبس لبوس الانسانية ، فتعكف على تصوير الشخصيات ، رودولف عشيقاته ، اصدقاؤه، مناوئوه الخ .. عبر مشاهد قطاعية من حياة الامير الخاصة ، او العامة .

الفصل الاول في قاعة القصر في مايرلنغ يقدم لنا خطوطا عامة عن الشخصيات الاساسية ، والعمل المسرحي ، نحس به بمزايا الامير وايضا مباذله .. والفصل الثاني في احدى غرف القصر نفسه نشاهد الامير مع زوجه ، وقد برزت ملامح الاسى والتشاؤم عليه ، ثم نشاهده مع صديقه الامير المجري كارولي يؤكد له تاييد قضية المجر ضد الالمان ، ثم تبرز له اغايا ضحية مباذله ،وتعلمه انها حامل منه ..

والفصل الثالث يجري في فيينا ، ونرى فيه اصطدام الامير رودولف بالقائد اودولف اخي اغايا ، اذ يناشده القائد تقية العار ، ويطلب اليه الاقتراع ، ويسلمه بالتالي الى الانتحار .. وفي الفصل الرابع نعود الى مايرلنغ حيث يقيم رودولف حفلا ساهرا لوداع الحياة ، ثم ينتحر مع احدى عشيقاته ، ويرثيه اخوانه ..

المسرحية اذن تاريخية تحليلية ، ومن هنا المشاهد الاجتماعية والسياسية التي ظلت تساند تصوير الطباع عند مختلف الشخصيات ، ومن هنا ايضا حسها الانساني الذي ينتظم الصراعات كافة فيها ..

ومع ذلك هل رودولف ضحية ، ما دام انه تعثر به الحظ في الاقتراع ؟.. ان حس الفروسية والشرف ، وايضا ثقل التشاؤم على رودولف اكبر ، فآثر الانتحار ، وكان باستطاعته الهرب ، او رفض التقاليد ..

الموضوع اذن صاخب ، ومليء بالمتناقضات ، وهو مطامح الشباب ، ومباذله .. والاجواء فيه مقهورة ، يائسة ، ليس بفعل القدر ، ولكن بفعل تردي الواقع ، والذي كان يمكن للامير التقدمي الطامح ان يعمل له ، لولا ان المنية لم تمهله .. فاودولف هازئا يقول فيه (٣) :

راى الـــداء الـــدوي ... فهـالـه مـا لاح من خرق
شعـوب مـن لواعجهـا ... تفصـ بميسـم الـرق
واقـوام تتـوق الـى ... الضيـاء وحلبـة السبق
حقـائق شامهـا (ادو ... لـف) حين خفت عن الخلق

والوسط الرجعي نفسه ، وخاصة رئيس الوزارة ، يثبطه عن مطامحه التقدمية ، فيجيب (٤) :

لـم اكـن اطلـب مـن ... قومـي علـى النقص الكمالا
نشـط النـاس يـرومـو ... ن مـن الدهـر المحـالا
ذرعـوا البحـر سفينـا ... تتهـادى وحبـالا
واحـالـوا مجـدب القفـر ... نعيمـا وجمـالا
وارى قومـي كـالانعـا ... مجهـلا وخبـالا
ليـت قومـي يبصـرون ... الخطـب والـداء العضالا

وقد احسن شاعرنا الكبير عدنان مردم بك في وصف الاطر التاريخية ، والاجتماعية ، واظهار العديد من عواملها ، بحيث ظلت متممة للعمل المسرحي ، باعثة على اظهار النفوس وتعريتها ، وخاصة منها موقف النمسا والمجر من الحلف مع الالمان ، وخصوصية الاتجاهات الشخصية في ذلك (٥) :

وتـرى البـلاط مـع العـدو ... النصـل يقطع في النحـور
يجري مـع (الالمـان) فـي ... الطغيـان والحكـم العسير
ويقـول مـا يوحـي اليـه ... بمنطـق الطفـل الغزيـر

وبرى الحروب دعامة للمجد والشرف الكبير

واذا تتبعنا حركة العمل المسرحي وجدنا فيها خطين متوازيين متكاملين ، احدهما عن المطامح ، وقائمها واتجاهها التقدمي ، والاخر عن المباذل ، وقائمها واتجاهها الى الاقتراع ، ثم الانتحار .

وكلا الخطين متمم للاخر ، يوحدهما الاثر العام ، او الهدف في تصوير الشخصية ، بحيث تصبح المشاهد مثل ارضية كاشفة ، فلاش باك للصراع الفعلي الذي سينتهي بالانتحار ، وسبب الانتحار عثرة الحظ في الاقتراع ، والتي قبل بها الامير ، كما يصور ذلك المشهد الذي بين الامير وغريمه (٦) ادولف

ادولف

اخي في معطفي كرتان سوداء وبيضاء
وفي السوداء للمرء الذي يختارها الـرداء
وان وقعت على البيضاء كفك لم يعد داء
فمد يدا ، وخذ كرة ولا يمنعك ابطاء

(يمد رودولف يده فتقع على الكرة السوداء ، فيقول :)

هي السوداء ما اختارت يمين هي عسراء
يطل الموت الوانا ويعصف دونها الداء

ادولف

لعلك مدرك ما يقتضيه النبل والكرم

رودولف

اجل ادركت ما يقضي علي المجد والشمم
وكيف احيد عن سنن واجدادها واتهم
شرائع بالدم ارتسمت صحائفها ، وتحترم

(ينظر الى ادولف ويقول :)

ليهنك قد بلغت منا ك مني وانطوى الالم

ان تصوير الشخصيات في المسرحية بالفعل تصوير دقيق ، بحيث يمكن تتبع ادق النزوات في طباعهم .. فالى جانب شخصية الامير رودولف التي حللها شاعرنا الكبير من جوانبها بكل دقة وبراعة ، هناك مثلا رئيس الوزارة (تافي) ، اوهناك (اغايا) ضحية مباذل الامير التي تصطلي بنار عارها ، ثم اخوها اودولف الذي يمثل وجها فروسيا لتقاليد الشرف ، ثم هناك (ماري) العاشقة الولهانة التي تؤثر الموت لتظل قرب عشيقها ، فتنتحر معه وهكذا ..

ان التصوير ظل امينا على الوقائع ، وهو جريء ، فيه صدق ، ومكاشفة وفيه عنف وواقعية ، تدعمه حوادث نشيطة ، كلها الحيوية ، والحركة المسرحية ، والامثلة على ذلك كثيرة ، ليس من العسير تقريبها .

وفي الختام اذ نكتفي بهذا القدر من دراسة هذا الاثر المسرحي الشعري الجديد ــ فاجعة مايرلنغ ــ لعدنان مردم بك ، نحيي شاعرنا الكبير عدنان الذي شق طريقه الى الصفوف الاولى في المسرح الشعري العربي المعاصر ، ودلل على اصالة ، وابداع ، وتفوق ، والى اللقاء في نتاج مقبل .

---

(١)ـ راجع : ــ الشخصية والصراع الماساوي ــ لعدنان بن ذريل ، دمشق ١٧٢ ، فهو دراسة نفسية في طلائع المسرح الشعري العربي احمد شوقي ، وعزيز اباظة ، وعدنان مردم بك .
(٢) ــ فاجعة مايرلنغ ، نشر عويدات ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٢ .
(٣) ــ المصدر السابق الذكر ، ص ٣٤ .
(٤) ــ نفس المصدر ، ص ٤٠ .
(٥) المصدر السابق الذكر ، ص ٧٢ .
(٦) ــ المصدر المذكور ، ص ٨٨ ــ ٨٩ .

دمشق — عدنان بن ذريل

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٥٠ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الأنصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ــ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

انت لـولاي رمـــاد

ديوان للشاعرة اللبنانية هدى صليبا ـ ١٣٦ صفحة
مطبعة الجمهورية الجديدة ببيروت

لا اكتم القارىء ان عنوان هذا الديوان قد اثار للوهلة الاولى دهشتي وتساؤلي ، فقد خطر لي احتمال أنني امام شاعرة تقف في كبرياء وقد شمخت بانفها ، وعقدت ذراعيها على صدرها ، ناظرة شزرا الى الرجال متعالية عليهم أشد استعلاء .. ولكن قصائدها استحوذت علي وانااتهم كلماتها .. صفحة اثر صفحة .. واندمجت فيها بكل وجداني وفكري وعقلي .. واستطاعت هذه الفنانة ان تلحق بي في عالمها السحري الذي اشاع في نفسي فيوض الجمال ونفحاته حتى صدمتني الصفحة السادسة والثلاثين بعد المئة التي انتهى اليها الديوان .. فاسفت لهذا . كنت ارجو المزيد ففنها لا يشبع منه . وقد انبلجت لي الحقيقة بعد قراءة الديوان .. فهدى صليبا كما توقعت ذات تعال فعلا ، بيد انه تعال تطا به الياس ، وكبرياء تذل بها الزمان ، واذا بي اقف مبهورا ، ارقب في صمت شاعرتنا الموهوبة وهي تترنم بقصائدها العامرة بالاخلاص والعمق.. فيا لقلب الفنانة .. واشجانها واسرارها!

ان هدى في قصائدها لم تهتم بالقيود التي تحدد الشكل الادبي ، وتميز الشعر عن النثر ، فهي تهتم بالتعبير عن رؤياها التي ضمنتها نظرتها الى الحياة والى الانسان . والشعر شيء اكثر من الوزن والقافية عندما يتحول الى مشاعر ، ورقة عاطفة ، وروعة تعبير ، نسمع ايقاعاته في نبض قلب شاعرتنا وما يدور في اعماقها .

وعندما أتناول ديوان « أنت لولاي رماد » للشاعرة هدى صليبا بالنقد ، لن افاضل بين الشعر المقفى والشعر الحر ، لعدة أسباب منها انني لا احب السفسطة والجدل البيزنطي ، ولانني احترم الطريقةالتعبيرية التي يرتضيها الفنان ويهوي اليها ،ولانه لا يوجد قانون في النقد الفني.. ولكن العمل الفني هو الذي يبتدع لنا قوانين النقد ، ولانني اؤمن بحرية الفنان ، وان لكل فنان عالما خاصا به ، ولا يمكن لناقد ان يطالبه بغير عالمه ، فاذا فهم عمله امكنه التحدث عما يعبر عنه ، اما اذا لم يفهم هذا العمل فليس في امكانه ان يفرض شخصيته كناقد عليه ، والا فلينتج هو هذا العمل الفني ! هذا الى ان اهم ما نضعه نصب اعيننا في تقييمنا للعمل هو صدقه الفني ، ومهما تنوعت الاساليب واختلفت ، فالاسلوب يعد عصريا حين يعبر باقناع وصدق عن عقل الانسان المعاصر وعاطفته. فلنحاسب اذن هدى صليبا ، لا على الشكل الذي كتبت به ديوانها ،بل على ما تشيعهفي نفوسنا من صدق وجمال.

ان مؤلفة « أنت لولاي رماد » ذات نفس شاعرة ، نفس حساسة ولدت فيها حقائق الحياة والوجود والظواهر الطبيعية انطباعات عاطفية اثارت مشاعرها ، وحركت خيالها الذي استطاع ان يهدي الينا هذه الباقة الجميلة من الازهارالتي نسقتهامن انطباعاتها وانفعالاتهاواحاسيسها ووجدانها وأوهامها الساحرة.

والحب الذي يطل علينا من ديوانها ، هو حب نبيل ، حب تصبو منه الشاعرة الى تذويب همومها ، والتخفيف عن آلامها واحزانها ، حب تتخذه وسادة لراسها المثقل بالمتاعب ، وبلسما لاحزانها.

وقد طالعتنا هدى صليبا بالفاظ سهلة ، واسلوب سلس جذاب لا تكلف فيه ولا اغراب وهي تعالج المشاعر الانسانية فتستهوي العقول والقلوب . وتتجلى براعة هدى في تصوير النفس البشرية باسرارها وغموضها ، بشرها وخيرها ، بالتضارب الذي يتاجج في اعماقها ، والذي تتوه هي ذاتها بين امواجه المتلاطمة ! وقد صورت المواقف التي تبلغ فيها عواطف المراة ذروة التوتر والصراع ، وما يعتمل داخلها تصويرا دقيقا يتغلغل فيما بين الوعي واللاوعي ، فعمقت من مغزى ديوانها وخصوبته ، وربطت بين ما قد عانته من تجربة فردية صهرتها ، وبين التجربة الانسانية بوجه عام ، وخاصة التي تتصل بعاطفة الحب ، بكل ما فيها من تشابك وتعقيد يعطي للحياة طابعها المميز . وهكذا تظل الشاعرة مع حبيبها بين كر وفر ، واقبال وادبار ، يغلفها خفة روحها ، وشفافية فنها . ويحقق هذا الصراع .. أو هذا التنازع الازلي بين الرجل والمراة ، التوازن في الديوان ، كما يساعد أيضا على ابراز ذلك التوازن لون آخر اضافته الفنانة بريشتها الساحرة .. هذا اللون هو التناقض بين القوتين اللتين تتنازعان داخل الشاعرة : الكبرياء والحب .

واود ان اشير الى ما تتميز به نظرةشاعرتنا الىالانسان بوجهعام ، والرجل بوجه خاص ، من توازن احسب انه سر قوتها ، فهي نظرة تجمع بين الاقبال والعطفعليه ، وبين التباعد والازورار عنه .. فعيوب الرجال كما تراها ليست خارجة عن ارادتهم ، بل هي نقاط ضعف فيشخصياتهم تجمل الحب ، ذلك النسيم الرقيق ، يفلت من بين ايديهم.

وهدى اذ تصور معاناتها ، فهي تعرض للانسانية جمعاء ، فتصوير الحياة هو غاية ما تنشده . وهي حين تضع المرآة امام الرجل ، فلكي يرى ملامحه وصورته في نظر حواء ، وكيف تلتوي سحنته عندما يبتلى بالغرور ، ويعميه الغباء.

ونحن نرى هدى صليبا في قصائدها التي تتحدث عن اعماق نفسها وخلجات روحها تسلس وتلطف تارة كالنهر الصافي ، وتارة تجيش كالبحر ويتفجر قلمها عنفا ، واحيانا اخرى تغوص في الاعماق محيرة للقارىء من املاءات قلبها المتلىء بالاسرار الخفية والتناقضات من تشاؤم وتفاؤل ، وياس ورجاء ، وتقدير للحب وكفر به .. جامعة جوهرها بين رومانسية القرن التاسع عشر ، ومثالية الفن الاغريقي ، وواقعية الفن الروماني والفرعوني والخرافات الرمزية من عصر النهضة .. ايقاعات متباينة واساليب فنية مختلفة ، مما يضفي على قصائدها سحرا وفتنة ، ويضاعف من القيمة الفنية للديوان ، فيا لها من لوحات فنية ترسم لنا في بساطة معجزة صورا نابضة الالوان اثارت فينا شتى الاحاسيس من نبع جمال فياض يتدفق في اعماق روحها التي تقف وراء العمل الفني.

وساقتطف هنا بعض اجزاء من قصائدها كشهود عدل على ما أقول. فها هي ذي هدى صليبا تبلغ ذروة الرقة والحنان في قصيدتها « بعض من حبيبي » فما اروعها وهي تقول :

دعني أنظر الى عينيك ،
واغوص في أعماقهما ،
ويدي على راسك
اتحسسه حتى كتفيك ،
أشدك الى صدري
حتى لا تتكسر أنت ..
بل لاتكسر أنا بين يديك .

وبينما نجدها في قصيدة « أنا راحل » تخشى من رحيل حبيبها وتشفق على نفسها من الوحدة ، نراها على النقيض في قصيدة « اغرب عن وجهي » تطلب منه الرحيل لتنطلق من القيود ، فلنستمع اليها وهي تقول :

اغرب عن وجهي ،
لا اريدك قمرا يتطلع الي .
احب السير في الليالي ،
فالليل أبهى منك عندي .
ثم تقول :
ارحل ولا تعد ،
الليل ، دونك ، أعذب .
ثم تردد :
لا احب القيود
قيودك من حديد ،
ليس فيها جمال ..

وانا أهوى الجمال
دعني
دعني اختال في الغابات ،
على التلال وفي الوهاد .
هناك شيدت منزلي ،
فيه كل الجمال :
جدرانه من الشعر ،
سقفه من ريشتي
وارضه بسمات

حقا ما أجمل وأبدع تلك الصور والاخيلة التي ترهف الحس ،وتنعش الروح ، وتهز افئدتنا اعجابا بهذا المستوى من الفن للفن الذي يمزج بين روعة الطبيعة والاحلام الوردية في واحة وارفة يزداد اطمئنانها اليهـا وسكونها الى رحابها ، فتفيء الى ظلالها من وعثاء الحياة على طـول شوطها المضني.

وما أرق عتابها لرفيقها عندما عبس في وجهها ، فلنستمتع بكلماتها وهي تقول في قصيدتها « الظلام وانا وفستاني » :

عبس في وجهي ..
رفيقي
ليلة العيد
ولا ادري
الام يرمي
من هذا العبوس

ثم نراها تصلي وتبتهل لتعود الابتسامة الى ثغر رفيقها وتختتـم قصيدتها قائلة :

سابقى هناك ،
في حدادي ،
واسودادي ،
اسجد ، واصلي
حتى يطمرني الثلج
ولا اقول :
« عبس في وجهي
رفيقي »

ويتناغم ايقاع قصيدتها « عفوا يا دقيقة » مع ايقاع القصيـدة السابقة عندما تقول في ابداع :

عذرا
لتلك الدقيقة
التي اخذتها منك
دون استئذان .
عفوا
اسلبي بعضا من حنانك ،
بعضا من نظراتك ،
بعضا من زفراتك ،
وآهاتك
وشيئا من احلامك ..
هل سامحتني ؟

وفي قصيدة « أذكرك » جاءتنا بمفارقة درامية تستهوينا باشعاعهـا وجمالها الفني :

اذكرك
اذكر انني اشعلت ...
اشعلت لك سيجارتك ،
واذكر ايضا
انني اشعلت نفسي ،
بذلك اشعلت شيئين ،
سيجارتك .. ونفسي .
اما الفرق فشاسع
بين النارين :
ناري هـادئة :
تؤدي جميـلا ،
ونـارك محرقـة
تلتهم كل جميل

ثم يستمر الكر والفر والصراع بين الرجل والمراة ، ففـي الوقت الذي طلبت فيه من رفيقها ان يغرب عن وجهها ، يعود الرجل فـي قصيدة « القباء وراء الرجال » ليقول لها :

اغربـي عـن وجهي
فنورك لا اريـده
احـب الظـلام
الذي احياه بجوارحي
وحـدة لا تنفصـم .
وجئت انـت .
لتنتشليني من سعادتي ،
وظلامي الذي هـو نوري .

وفي نهاية القصيدة ينصحها قائلا :

يا فتاتي ، لـك نصيحة .. وهي :
« اياك ان تنصحي رجلا » .
ولم انبس ببنت شفـة ،

بـل نظـرت اليه ..
ودمعـت عينـاي .

وكم تكره هدى ان يكون حبها مبنيا على الخداع ، وان يكـون حبيبها تتحكم فيه الايدي عاطلا من العزم والحزم ، فتثور حينئذ كما في قصيدتها « كذبت يا هذا » ، وينتفض القلم في يدها وهي تقول :

حبي كان مبنيا على الخداع .
انـك تتمنى ان تكـون
رجـل عـزم وحزم ،
لكـن
كـل هذا تمـن
وانـا لا احيـا
علـى خـداع السـراب
مسكين الرجـل ،
دائمـا ضعيـف
انـه سراب ، وهـم ..
ظـل اسطـوري
للرجـل

وتحذر هدى الرجل ذا النظرات الزائغة الى كل امراة ، ونقتطف من قصيدتها « حذار يا رجل » ما يلي :

انـا كالشذى العطـر
كالياسمين ، كالسوسن ،
لا تلمسنـي ،
ابتعـد عن طريقي
حتى لا تختنق من اريجي
ارضك ليست بارضي ،
وعالمك غيـر عالمـي .
انـا انثر الرياحين في الاجواء ،
اهـدىء النفوس ..
فيسري الدفء في القلوب ،
وانت تزرع الاشواك في الارض ،
تـدمي العيـون
وتعـذب النفوس
هـذا انـا ،
فعـد من حيـث اتيـت ..
ولا تقـل :
« القاك غدا »

وتقابلنا الرومانسية الحالمة فيقصيدة « انت لولاي رماد » وفيها تقـول :

احبـك
وانـت بعـد سـراب
هـذا صحيـح ،
اوجـدتـك انـا
مـن سرابي الضائع ،
وحلمـي البعيـد

ثـم تقول :

ظـلام ونـور ،
فنـاء وخلـود ،
وجـود فـي اللاوجـود .
انـت لولاي رمـاد .
انـا صنعتـك
مـن دنيـاي ،
مـن خيالـي
مـن احـلامي .
بنيـت لـك محـرابا
مـن ابعـاد نظـراتـي
اوجـدت لـك ينبوعـا
معطـاء مـن حنـانـي ،
ودنيـا فسيحة الارجـاء ..
ترتـاح عليهـا من اضلعي .

ويبدو انها تتساءل .. فيم كل هذا العناء ؟ السنـا نستطيع از نحيا بالخيال ما تنطلق اليه رغباتنا ؟ اليست السعادة والشقاء معانـي ذهنية اكثر منها حقائق واقعية ؟ ام ترى قد كتب على البشر الا تطمئن بهم حال حتى ولو كان من نسج الخيال ؟!

وفي مواقع اخرى من الديوان نرى روحها بعد ان تعالت وتسامت الى الآفاق ، ترتد حزينة ثائرة الى الاعماق ، ومن الاعماق يرتفع التذمر ، والكفر بالحب والحنان ، فتقول في قصيدة « دعوني » :

دعـوني ،
ابتعـدوا عنـي
اتركونـي
ان حبكـم
يؤلمنـي
حنـانكـم
يوجعنـي
نظـراتكـم
تجرحنـي
دعـوني ،
لا تحبـونـي ،

وتنتهي قصيدتها قـائلة :

لان حبكم ، هـذا
الـذي تقدسـون ،
خـرافـات
لا اعتـرف بهـا ،
وارميها بعيـدا ،
واخنقها فـي مهدهـا ،
واطعنهـا في صميمها

وعندما يؤرقها العالم المنحرف تثور على الاخلاص ، وتلوذ بحسب ذاتها في قصيدة « .. فاحب ذاتي » .. انها مأساة حساسية اخلاقية لمثالية في عالم مليء بالشر ، مأساة هذه المثالية عندما تواجه الحيـاة فيتحطم عالمها البريء ..

هذا هو حبي
حبـي الكبيـر
الذي لا يسعه العالـم ،
العـالم المنحـرف
لا تلوموني بعـد الان .
لا تسألوني مـن احب ،
فقد عرفت السبيـل
لـن اضحي بعـد الان ،
لـن اخلص .
انـا لا اهـواه ،
انـه رجل ناقص ،
نـاقص الانسانية .
هـذا الرجل لا يبصر .

الـى ان تقـول :

انـا من غير هذا العالم

عالمي غير موجود
كلكم لا تعرفونه ..
طالما لا تبصرونه .
انه عالم جميل ،
طبيعي كله .
سوف احيا فيه وحدي
واهواه
نعم .. ساهواه ،
فهناك ارتاح ..
واحب ذاتي .

واحيانا اخرى تجعل هدى السبل تختلط علينا ، محيرة ايانا ،وهي تثير تفكيرنا وتساؤلاتنا عن نظرتها للانسان كما في قصيدتها « اصنام .. ولا انسان » التي ما ان قراتها حتى تذكرت خرافة فاوست ، للشاعر الالماني جيته ، التي تلخص كل آلامه وقلقه في بحثه عن الحقيقة . وهدى صليبا بدورها تحاول ان تكشف مكنون هذا الانسان الذي وجد على كوكب الارض منذ آلاف السنين ، فراحت تتجول وتنقب في الارض فوجدتها ملأى بالاصنام . واسترعى انتباهها صنم ارتابت في امره ، وخالته ذاك الذي قرات عنه . اقتربت منه تتلمسه فجرحت يداها فقالت :

« ينقصه صقل » ،
ولم اتصلف ..
حبا باكتشاف حقيقة
تائر بافعالي .
شلحت عليه
وشاحا احبه ،

واذا بالصنم يحكم عليها بالاعدام بينما اترابه يقهقهون :

« الاعدام » .
قلت : لمن ،
قال : لك انت ،
اولا تفهمين ؟
البلاهة في عينيك ،
والخداع في شرايينك
وانت تفتقرين الى الشعور

فصعقت شاعرتنا للذع كلامه ، فقالت له مستفسرة :

« ما وراء ذلك ؟ » »
قال :
« لا شيء ، الاعدام » .
قلت :
ساسامحك ،
فانت لا تدري ما تقول .
بعد آلاف السنين
ستهتدي ،
عندما لن يجديك الندم
وعدت الى عالمي ..
وفي يدي حجة
تكذب ما قيل ..
وتثبت وجود اصنام
تسمو بذلك الانسان .
خلعت ذلك الوشاح ..
ودفنته معي في دنياي .

وهذا يزيد ديوانها ثراء ، فالكاتب الفرنسي الكبير اندريه جيد يقول ان العمل الفني الذي يستمتع به هو الذي يحتاج الى تفكير ، ويعاود قراءته عدة مرات . واخال هدى عندما لجأت الى الرمزية هنا ترمي الى الايحاء بدلا من الافصاح ، والتلميح بدلا من العرض ، وكأني بها تقول لنا ان الانسان لو تملك اسرار الغيب ونفذ الى كل معنى خفي ، واحاط علما بكل شيء وكان بغير حب لما كان شيئا .

وفي قصيدتها « انا ودانتي » احسب انها تتخذ من حب دانتي لبياتريس في القرون الوسطى وسيلة لتجسيد مفهومها الخاص للحب الذي وصل اليه الشاعر الايطالي وهو سعي وراء الكمال بالارتفاع بجمال الاجسام الى جمال المشاعر ثم جمال الافكار حتى يبلغ المعرفة المطلقة التي هي ادراك الجمال المطلق ، يقوده جمال بياتريس التي ترفقت به فاستلته من وسط الغابة المظلمة ، غابة الضلال التي تعثرت بها خطاه . وشاعرتنا تبدو لي مؤلفة موسيقية ايضا تستخدم الهوموفونية في نسيجها الموسيقي ، اي تستعين بنغمات مصاحبة كخلفية للحنها الاساسي ، واراها تحرص على ان يكون ايقاع هذه النغمات مطابقا لايقاع اللحن .. وهكذا استعارت لتجربتها هذا الحب الاسطوري محاولة ان تضم نسيجه الى نسيج مفهومها لتقويه ولتعطي ابعادا له ، ونجحت بهذه المحاولة في تكثيف مشاعرها . ومما جاء في القصيدة قولها على لسان فتاة فلورنسا :

ـ دانتي ..
لا تكمل ،
انا جئت اليك
لاني شعرت شعورك ،
وقد كشفت لي
عن فراغك
روح تفتش عن روحها .
جسد في لهفة الى جسده

فيجيبها دانتي قائلا :

ـ الهمتني
الحياة ،
وانت الحياة ،
بياتريس

ثم نراها تقف شامخة في اعتزاز تطأ الياس بقدميها بعد ان بات مسفوحا على باب فجر باسم ترنو اليه ، ونلمس ذلك عندما تقول في قصيدتها « بين امسي وغدي » :

امسي
رحلت عني
ولا اريد ان تعود الي .
فاذهب ،
اني غير آسفة عليك .
فلقد بكت عيناي ،
وسالت دموعي
مرارا كثيرة ،
مرة منك ، واخرى عليك .
غدي ،
كلمة جديدة علي ،
اخاف منها ، واخاف عليك .
ماذا تخبيء لي ؟
لا اريد ابدا مما اعتدت عليه ،
بل اريدك بسمة
تتوق شفتاي اليها ،

وزهـرة جميلـة
اقطفهـا بيـدي
وتمثالا اسمـر اللـون
اقبله كثيرا ، كثيرا
ولا ارتوي ،
حتى تهب انـت الـي ،
وتحملني علـى يديك ،
وتقول لـي :
« حبيبتي ، احبـك ،
هذا غـدك بين يـدي ،
تعالـي اضمـك الـي » .

وحينما نلمح ثورتها لكرامة الرجل طافية فوق السطح ، نكتشف ان ثورتها لكرامتها تدمدم في الاعماق كما في قصيدة « قلب الرجـل مطـاط » حين تقـول :

الرجل ضعيف
مـا دام يقـول :
« اعتدت العيش معها ، اصبح تعذيبها لي طبيعيا » .
ايـن ثورتك يـا رجل ؟
ايـن كـرامتـك ؟
ام ان ثورتك في حب سواها ،
وكرامتك في الهرب منها
والارتماء في حب اخرى ؟
ام هو قلبك مطـاط
يتسـع لاكثر من واحـدة ؟

ثم يشتد غضبهـا وهي تقـول :

هكذا ستبقى تعيش في المستنقعات ،
ياكلك البعوض ،
يستهويـك الذبـاب ،
الى ان ينتشلوك ،
وكانك مصاب بمرض « تسي تسي » .

ويبدو ان الامر قد التبس هنا على شاعرتنا عندما ذكرت مـرض « تسي تسي » فهذا ليس بمرض بل نوع من الذباب يعيش فـي افريقيا الاستوائية وينقل مرض النوم . لم اسق هذا الخلط لاشوه صفاء السماء شان الغربان ، ولكن لان هذا الخطا العلمي سواء أكان عمدا ام عن غير قصـد قد احسست معه ان فن هدى صليبا شيء يفوق الواقع . وانني لا اقول ذلك مجاملة لشاعرتنا ، وانما طاف بمخيلتي شيء اخر .. ذلك التشكيل المجسم الذي يمثل المارشال ناي للمثال فرانسوا ريد .. فقد استخرج المثال العالمي اوجست رودان ما لا يقل عن عشرة اخطاء فـي هذا التمثـال ، ولكنه مع ذلك يمتاز بصدقه الفني المستمد من هـذه الاخطاء نفسها ، بل ويبدو لنا طبيعيا اكثر من تلك الصور الفوتوغرافية التي تلتقطها آلة تصوير شديدة الدقة والسرعة لضابط يقفز على قـدم واحـدة في وضع سخيف يبدو خاطئا مبتورا رغم انه وضع حقيقي . وهذا يؤيد قول ارسطو « ان الشعر اصدق من التاريخ » ، وبالتالي النحت اصدق من « الصب القالبي » ، والرسم اصدق من التصويـر الفوتوغرافي المباشر .

تحية عربية خالصة لشاعرتنا الفنانة هدى صليبا التي بهرتنـا بديوانها هذا ، آملين ان نلتقي معها على صفحات تحفتها الجديـدة القـادمة .

القاهرة — غبريال وهبه

ظهر حديثا

- مستقبل النظام المصرفي في الدول العربية — تاليف الدكتـور علي الجرتلي — محاضرة القيت في جامعة بيروت العربية — ٢٤ صفحة — حجم كبير — مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) ببيروت .
- خمسة فصول مسرحية — حفلة عشاء ، امة تطلب الحياة ، علـى الباغي تدور الدوائر ، باسم الحداد وهارون الرشيد ، معجون الحب — تاليف نصري الجوزي — تقديم عجاج نويهض — ١٤٢ صفحة — مطبعـة الرازي (؟) — (صدر في دمشق) .
- ربيع الحياة في مملكة الله : دراسات وشهادات في شعر عبـد الوهاب البياتي — اعداد وتقديم عدنان حقي — تصميم الغلاف للفنان المصري مكرم حنين — ٩٤ صفحة — حجم كبير — مطبعة الاديـب البغـدادية .
- الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية — تاليف المهندس الدكتور احمـد سوسة — الباب الاول : المدخل الى عصر الادريسـي — ٢٧٠ صفحة — الباب الثاني : عصر الادريسي — ٣٢٤ صفحة — حجم موسوعي — مجلد — اخراج فاخر ، مع صور وخرائط — ساهمت مؤسسة كولبنكيان مع نقابة المهندسين العراقية بنشره — اشرف على التنفيذ لجنة مـن نقابة المهندسين العراقية برئاسة المهندس الدكتور ناجح الراوي وعضوية المهندسين جورج ياقو والدكتور احمد سوسة — قام بالطبع مكتـب صبري (؟) (صدر في بغداد) .
- رحلتي الى افريقيا العربية : ليبيا — تاليف ناجي جواد — تقديم عبد الحميد المحاري — ٩٦ صفحة — حجم كبير — مطبعة الامة ببغداد .
- نفحات عطر — تاليف اسمي طوبي — ١٤٢ صفحة — منشـورات مؤسسة نوفل ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .
- ملحمة النور — شعر — محمد الحسناوي — صمم الغلاف مـأمون صقال — ١٤٤ صفحة — منشورات دار القلم بدمشق — (لم يذكر اسـم المطبعـة) .
- عودة الغائب — مجموعة شعرية — محمد الحسناوي — ٩٤ صفحة — منشورات الدار العلمية ببيروت — مطبعة الوطن ببيروت .
- بنو الاثير الفرسان الثلاثة — تاليف محمد بن عبد الله الحمدان — تقديم عبد العزيز الرفاعي — مصمم الغلاف حمد كليب الحارثي — ١٧٦ صفحة — سلسلة المكتبة الصغيرة رقم ١٣ — شركة مطابع الجزيـرة بالريـاض .
- ملامح من شخصية علال الفاسي — تاليف عبد الكريم غلاب — ٢١٤ صفحة — مطبعة الرسالة (؟) — (صدر في الرباط بالمغرب) .
- هاكم فرح الدماء — شعر — عبد الاله الصائغ — صمم الغلاف فيصل لعيبي — ١٤٤ صفحة — مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .
- الثار — قصة قصيرة — تاليف عماد الدين عيسى وعبد العزيـز الشناوي واحمد علي رجب — ٩٢ صفحة — مطبوعات لجنة الادبـاء بالاقهلية (مصر) — مطبعة المحبة بالمنصورة .
- حسن جهان — تاليف رياض حنين — ٢١٩ صفحة — منشورات دار المكشوف (بيروت) — (لم يذكر اسم المطبعة) .